

النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

"الشريف بن حبيلاس أنموذجا 1891-1959م"

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في:

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

شعبة: التاريخ

إعداد الطالب:

البشير منصور

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
الصفة	المؤسسة الجامعية	اسم ولقب الأستاذ
رئيساً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عمر بوضربة
مشرفاً ومقرراً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	محمد السعيد قاصري
ممتحناً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عبد القادر خليفي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

"الشريف بن حبيلاس أنموذجا 1891-1959م"

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في:

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

شعبة: التاريخ

إعداد الطالب:

البشير منصور

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
الصفة	المؤسسة الجامعية	اسم ولقب الأستاذ
رئيساً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عمر بوضربة
مشرفاً ومقرراً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	محمد السعيد قاصري
ممتحناً	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	عبد القادر خليفي

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

النمل: ١٩

الحمد لله واهب النعم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، أشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فالله الحمد على توفيقه لي في إتمام ذا العمل.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتقدم بحزب الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور: "قاصري محمد السعيد" الذي لم يخل عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيمة وصبره معي طيلة فترة إعداد هذا البحث فله مني فائق الاحترام والتقدير كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ "بلعدي دامي" على مساعدته لي في إنجاز هذا العمل.

إهداء

أهديه هذا العمل إلى من قال — في حقهما الله عز وجل:

﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

الإسراء: ٢٤

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أُمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من زرع بذور الإرادة والعزيمة في نفسي وغرس شتائل
الأمل في وجداني

إلى سر وجودي أبي الغالي أطال الله في عمره

إلى الذين حبهم يسي في دمي إخوتي وأخواتي

إلى الزوجة الكريمة وأبنائي "روان، يوسف عبد الرحمن"

إلى روح إخوتي

إلى أختي الغالية

إلى كل أفراد العائلة

منشور البشير

مقدمة

مقدمة:

شكل نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن وسيلة وطرح جديد للمقاومة الجزائرية لمختلف السياسات الاستعمارية الفرنسية متأثرين بنشاط المدرسة الفرنسية في الجزائر، والتي سخرتها فرنسا لإعداد واستقطاب فئة تؤمن بمبادئ وأفكار وفكر الجزائر الفرنسية، ومن بين هؤلاء محمد الصالح بن جلول والدكتور بن تامي وفرحات عباس والشريف بن حبيلس، ونظرا لتشعب موضوع النخبة الجزائرية الفرانكوفونية وتمدده عبر الزمان وقع الاختيار على شخصية لم تخصص له دراسات أكاديمية متمثلة في الشريف بن حبيلس كأنموذج لهذه النخبة، وموضوع الدراسة التي سنتناولها والموسومة بـ: "النخبة الجزائرية الفرانكوفونية الشريف بن حبيلس أنموذجا (1891-1959م).

دواعي اختيار الموضوع:

- الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع في تاريخ الحركة الوطنية والثورة.
- قلة الدراسات الأكاديمية حوله.
- التعرف على هذه الشخصية.
- الوقوف على الفكر الجزائري الذي عرفته الساحة السياسية الجزائرية في النصف الأول من القرن العشرين.

الإشكالية:

إن البحث في موضوع النخبة الفرانكوفونية "الشريف بن حبيلس أنموذجا" يتيح الفرصة لطرح الإشكالية التالية:

- ما هي أهم ملامح فكره وتطوره وطروحاته حول القضية الجزائرية؟
- ويندرج تحت هذا الإشكال الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:
- من هو الشريف بن حبيلس وماهي أهم الوظائف التي شغلها؟
- إلى أي مدى أثرت المدرسة الفرنسية في فكر بن حبيلس؟

- هل ساهم نشاطه السياسي والثقافي في بلورة تصورات وأهداف النخبة الجزائرية الفرانكوفونية
اتجاه القضية الجزائرية؟

- ما هو الثابت والمتغير في أفكار ومواقف بن حبيلس؟
- ما هو موقفه من الثورة الجزائرية وما ملابسات اغتياله؟

منهج البحث:

لقد اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي المقارن والإحصائي المناسب لمثل هذه المواضيع لما يتضمنه من تسلسل للأحداث وأدوات تحليل للمعلومات.

هيكل الموضوع (الخطّة):

لقد قسمت الموضوع إلى مقدمة وخاتمة وفصلين حسب طبيعة الموضوع وامتداداه الزمني وهي كالآتي:

الفصل الأول تحت عنوان: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية، تطرقنا فيه إلى مفهوم النخبة الجزائرية الفرانكوفونية النشأة والتطور وانتمائها الاجتماعي وأهم المواقف والمطالب وردود الفعل الفرنسية حول نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية.

أما الفصل الثاني والذي يمثل لب الموضوع والمعنون بـ: "الشريف بن حبيلس المواقف والأفكار، تطرقنا فيه إلى مولده ونشأته، ثم عرجنا على تعلمه، كما تحدثنا عن نشاطه السياسي والثقافي مروراً بمختلف مواقفه من مواضيع عصره واهتماماته الفكرية التي تطرقنا إليها منتهين بملابسات اغتياله.

الصعوبات:

قلة الكتابات الأكاديمية حول الموضوع.

بالإضافة إلى تبعثر المادة التاريخية بين الداخل والأرشفيف الفرنسي في ظل صعوبة

الاتصال بعائلة الشخصية المدروسة.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل محمد السعيد قاصري المشرف على هذا البحث والذي سهر طوال فترة العمل على توجيهنا وإمدادنا بالنصائح والتوجيهات اللازمة ومساعدته لنا في الحصول على ما تيسر من مادة تاريخية عن الموضوع وكذلك دعمه المعنوي.

عرض المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- 1- الشريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي والذي أفادنا في الفصل الثاني بالدرجة الأولى سيما ما تعلق بمواقفه ورؤيته للقضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.
- 2- فرحات عباس، ليل الاستعمار، استقصدنا منه في التعرف على مطالب النخبة الجزائرية الفرنكوفونية.
- 3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية في جزئه الثاني وأفادنا في التعرف على الأوضاع العامة للجزائر في بدايات القرن العشرين ودور النخبة في هذه الأوضاع.
- 4- محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ساعدنا في معرفة بعض رواد النخبة الفرانكوفونية ونشاطهم السياسي داخل البلاد.

ثانياً: المراجع:

- 1- عبد القادر حلوش، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر والذي أفادنا في دراسة العلاقة بين المدرسة الفرنسية ودورها في إخراج وتأطير النخبة الفرنكوفونية.
- 2- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، والذي خدم الموضوع في مجال رواد النخبة الفرنكوفونية.

ثالثاً: الدوريات

- 1- محمد السعيد قاصري، مقال النخبة الجزائرية الفرانكوفونية بين التطرف والاعتدال، الشريف بن حبيلس أنموذجاً 1891-1959م بمجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، العدد 13، السنة 2017، والذي أفادنا بشكل كبير في الفصل الثاني سيما ما تعلق بمواقف وآراء محمد الشريف بن حبيلس.

2- نفيسة دويذة، الشريف بن حبيس آراءه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 72-73، سبتمبر 2016 والذي وظفناه في التعرف على شخصية الشريف بن حبيس من القضاء إلى التأليف والاهتمامات الفكرية لهاته الشخصية.

رابعاً: الرسائل الجامعية

- 1- الطاهر العمري، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940م والذي أسهم في تجلية مواقف ابن حبيس من بعض القضايا المتعلقة بالعمال والفلاحين والمرأة.
- 2- صافر فتيحة، حركة الشبان ظهورها وتطورها فيما بين 1900-1930، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2015-2016 والذي خدم الموضوع في مواقف ومطالب النخبة الجزائرية الفرنكوفونية.

الفصل الأول

النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

المبحث الأول: النشأة والتطور مع مطلع القرن العشرين

المبحث الثاني: الانتماء الاجتماعي للنخبة الجزائرية الفرانكوفونية

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية مطلع القرن العشرين

المبحث الرابع: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية (المطالب والمواقف)

المبحث الخامس: ردود الفعل الفرنسية حول نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

المبحث الأول: النشأة والتطور مع مطلع القرن العشرين

إن مصطلح النخبة قد تردد في الجزائر كغيره من المصطلحات التاريخية والتي وجدت مكانتها من خلال نشر الصحف والاجتماعات والمناقشات اليومية، وقد ارتبط اسمهم كما يعرف بالإدماج، فالمصطلح الجديد يختلف عن المصطلح القديم الذي يمثل النخبة التقليدية أو المحافظة ذات التكوين الإسلامي.¹

وقبل الخوض في دراسة النخبة الجزائرية الفرانكوفونية ضروري جدا معرفة مفهوم مصطلحات البحث بداية بـ:

النخبة:

جاء في لسان العرب لابن منظور "تَخَبُّهُ، انخبه إذا نزعته، والنخب والانتخاب، الانتزاع والانتخاب الاختيار والانتقاء ومنه النخبة وهم الجماعة تختار من الرجال أن تنتزع منه²، فالنخبة بهذا المعنى هي انتقاء مجموعة متميزة من بين مجموعة كبيرة.

كما جاء في مختار الصحاح "الانتخاب، الاختيار، والنخبة مثل: النخبة والجمع، نخب ورطب، يقال: جاء في نخب أصحابه أي في خيارهم".³

فالنخبة بهذا التعريف تحمل المعنى الأخلاقي بالدرجة الأولى.

ويبدو أن مصطلح النخبة الجزائرية الفرانكوفونية من الناحية التاريخية كان وليد المدرسة الفرنسية التي أراد الاستعمار أن تكون دعامة الأساسية في فرض سيطرتها على الجزائر، وهذه التسمية تخص المتعلمين في المدارس الفرنسية، ويقصد بها L'élite أو المثقفين Les intellectuels أو المتطورين Des évolués وهي أسماء رافقت كلمة النخبة الذين وبحكم

¹ - خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007، ص98.

² - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، ط1، بيروت، د.ت، ج1، ص 752 نقلا عن: الطاهر العمري، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940م، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2003-2004، ص10.

³ - الرازي، مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، بيروت، 1995م، ج1، ص 271، نقلا عن الطاهر العمري، المرجع السابق، ص10.

تمدرسهم في المدارس والجامعات الفرنسية قد تأثروا بالثقافة الأوروبية وانبهروا بها، واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها، وبذلك فقد أصبحوا هم المدافعين عن تواجد فرنسا بالجزائر والمتحمسين لفكرة الإدماج¹، وما يقتضيه الأمر من تخليهم عن تاريخهم العربي وذلك بمطالبتهم بالجنسية الفرنسية كي يتساووا مع الفرنسيين ويتيح لهم هذا تحسين أوضاعهم الاجتماعية والسياسية.²

ويبدو أن تعريف هذه الفئة قد وقع فيه اختلاف كبير، غير أن جميعها يتفق أن هاته الفئة قد ظهرت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وانضوت تحت لواء "حركة الشباب الجزائري".³

وفي تعريف للنخبة من طرف أبرز أفراد هذه الفئة الشريف بن حبيلس حيث يقول: «النخبة إنهم ثريات الشباب المنخرطين في الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين».⁴

وفي تعريف آخر للنخبة الفرانكوفونية نجد جورج مارسي "Georges Marçais" في تقديمه لكتاب الشريف بن حبيلس "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي" قائلا: «هذه النخبة لها مكانتها بالنسبة للرأي العام الفرنسي لأن لها بعض مظاهر النخبة الأوروبية ولكن لا وزن لها بالنسبة للأهالي وذلك للسبب نفسه أي مظهرها الأوروبي، هذه الفئة المكونة من الأطباء والشرفاء وبعض المحامين وبعض الصحافيين اللامعين ومعلمي هؤلاء الذين يعون تماما دورهم في نشر الأنوار والواجب الذي عليهم تجاه فرنسا التي صنعت منهم مجانا ما هم عليه اليوم، هاته الفئة التي تنتمون

¹ - الإدماج: هي فكرة جاء بها الفرنسيون تهدف إلى خلق نوع من التعايش بين الفرنسيين والجزائريين وذلك بتعيين الفرنسيين كسادة والجزائريين كعبيد، ويجوز للفرنسي أن يتمتع بجميع الوظائف الإدارية والقضائية والعسكرية، كما يجوز له أن يكون رئيسا للجمهورية وبالمقابل لا يسمح للجزائري أن يتمتع بالحقوق ولا يمكن أن يكون قاضيا في محكمة أهلية ولا نائبا للقاضي ولا يجوز أن يكون رئيس قسم بوليسي ولا معاون له ولا يجوز له أن يرقى في الجيش إلى رتبة أعلى، للمزيد أنظر: الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص165.

² - خيثر عبد النور وآخرون، المرجع السابق، ص98.

³ - يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1918م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص13.

⁴ - Chérif Ben Habiles, L'Algérie Française vue par un indigène préface de M. Georges Marçais Orientale Fantana, Alger, 1914, p107.

إليها تبدو لي العنصر الأكثر فائدة للوحدة بين الشعوب لأنها تغذت من الثقافة العربية وأمكنها أن تتخلق بالآداب الفرنسية».¹

كما يقدم لها جورج مارسلي والذي كان مديرا للمدرسة الفرنسية الجزائرية الإسلامية بتلمسان بأنها: «ليست تلك الأقلية من الموظفين والمحامين والصحفيين والمعلمين بل كذلك الجزائريين الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية والثقافة الإسلامية والذين يعرفون في نفس الوقت عن مؤلفي العصر الإسلامي الذهبي وكتاب التراث الفرنسي».²

وأطلق عليهم كذلك اسم البورجوازية الجديدة أو المثقفين بالثقافة الفرنسية وتبنوا أفكار الإدماج والتجنس والمساواة والتسامح والعدالة والمواطنة الفرنسية، وهذا بسبب تكوينهم الفرنسي البحت وبالمقابل أنكرت وجودها وأصلها العربية الإسلامية، لأنها ترتبت تربية فرنسية خالصة في محيط وبيئة فرنسية بعيدة عن واقعها، بل وكانت تعتقد اعتقادا أعمى أن الثقافة نفسها تنحصر في الثقافة الفرنسية وحدها وأن تاريخ الجزائر يبدأ من 1830م وقدموا أعلام الفكر الغربي واعترفوا كذلك بأن للاستعمار الفرنسي بعض المحاسن والمزايا.³

أما شارل روبير أجيرون فيؤكد أن تسمية الشبان الجزائريين في البداية أطلقت على اليهود المتحضرين المفرنسين لتمييزهم عن اليهود في شمال إفريقيا الذين يتكلمون باللغة العربية ويرتدون لباسهم التقليدي.⁴

وهناك من يعرفهم بأنهم أولئك الذين تمتعوا بحظ من التعليم في المدارس الفرنسية وشكلوا مطلع ثلاثينات القرن الماضي ما يعرف في أدبيات التاريخ الجزائري المعاصر بالشبان الجزائريين

¹ – Chérif Ben Habiles, op.cit, p11.

² – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الوطنية الجزائرية 1900-1945م، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، 1992، ص159.

³ – نفسه، ص 164.

⁴ – شارل روبير أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج1، دار الرائد، الجزائر، 2007، ص704.

وغالبيتهم من الطلبة الفرانكوفونيين الإدماجين وهم فئة لا يمكن اعتبارها في نهاية المطاف لا جزائريين بالمفهوم الشامل ولا فرنسيين.¹

وتؤكد بعض المصادر الفرنسية أن هذه الفئة قد وقعت فيما يشبه العزلة أو انفصام في الشخصية وهو ما جعلهم يصنفونهم بالأنانية المفرطة التي حرمتهم حتى من اختيار الزوجة المناسبة لهم في وسط الأهالي والتي تشاطرهم وتشاركهم حياتهم ومستواهم الثقافي هذا الأمر جعلهم يتزاجون من فرنسيات أمثال فرحات عباس² والشريف بن حبيلس، هذا الأمر جعلهم بين عالمين، عالم فرنسا الذي تربطهم به الثقافة الفرانكوفونية واللغة الفرنسية وعالم الجزائر الذين انسلكوا عنه بحكم غربة اللسان والكيان والمهنة³، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى كان عدد هؤلاء الفتيان الجزائريين بضع مئات من الأشخاص احترفوا العديد من المهن والوظائف، صحافيين ومحامين وأطباء وأساتذة.⁴

وكتب فرحات عباس يقول: «كانت كتبنا تصور فرنسا كرمز من الحرية، وكنا ننسى في المدرسة جراح الشارع وبؤس الدواوير مع رجال الثورة الفرنسية وجنود الثورة الفرنسية في شوارع التاريخ الكبرى».⁵

ويؤكد شارل روبير أجيرون أن المثقفين الجزائريين بفرنسا هم نتاج الأسلوب المدرسي الكولونيالي وما التحفهم بأرض الميتروبول (فرنسا) إلا نتيجة صراعات فكرية جزائرية واستعمارية⁶، ويؤكد يحي بوعزيز أن النخبة المتفرنسة هي نخبة مدنية جاءت نتيجة الاتصال والاحتكاك بفرنسا

¹ - محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، دار ابن كثير، بيروت، 2001، ص 122.

² - ولد سنة 1899م بالطاهير ولاية جيجل، تحصل على شهادة الصيدلية عام 1946م، أسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، عضو في المجلس الوطني للثورة 1956م، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ سنة 1957م، عين أول رئيس للحكومة المؤقتة 1958م، ينظر: أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص 334-336.

³ - عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962م، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995، ص 42.

⁴ - عبد الله حمادي، المرجع نفسه، ص 14.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 161.

⁶ - شارل روبير أجيرون، المصدر السابق، ص 873.

وشاركت هذه النخبة في العمل السياسي بطريقة مباشرة، ولو دققنا في هذه النخبة لوجدناها لا تسعى للتخلي عن الهوية الوطنية الجزائرية، بل تسعى لتطبيق الثقافة الغربية الفرنسية، وأمام هذا نقول أن هذه النخبة من نتاج المدرسة العلمانية والجمهورية الفرنسية.¹

وقد كان أعضاء النخبة الفرانكوفونية الجزائرية طموحين ومتفتحي العقل على المطالب السياسية والاجتماعية، وحظوا باهتمام خاص نظرا لدورهم الهام في دفع القضية الجزائرية خلال عهد النهضة، وما يلاحظ على هذه النخبة أنها لم تتبنى أفكار الغرب فحسب، بل تعدتها إلى وسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه، كما أرادوا جعل المجتمع الجزائري مجتمعا أوروبيا، وهذا ما جعلهم يفقدون هويتهم.²

ويشير سعد الله إلى أن عناصر هذه النخبة شعروا بعقدة الكمال تجاه المجتمع الجزائري وبعدة النقص تجاه المجتمع الفرنسي، هذا ما جعلهم يفقدون لغتهم وعاداتهم واحترام صداقة مجتمعهم وأداروا وجوههم نحو الحياة الأوروبية وكان حديثهم الفرنسية وعلموا كذلك أبنائهم في المدارس الفرنسية التي أوضحت أن الجزائر قبل الاحتلال كانت تعيش في اضطرابات وفوضى وبالتالي قاموا بمدح فرنسا بحجة توفير الأمن والهدوء للجزائر ومجدوا الاستعمار بذلك وبرروا موقفهم هذا بمجموعة من المحاسن الاجتماعية والاقتصادية التي قدمتها فرنسا للجزائريين، وقد وصفوا المعمرين واعتبروهم عناصر مستبدة.³

وقد حدد علي مراد فترة ظهورها فقال: «فهم مثقفون مسالمون والذين كان ظهورهم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والذين بالإضافة إلى وظيفتهم الاجتماعية كان اهتمامهم بالمسائل السياسية»، كما حصر عناصر النخبة المفرنسة في أولئك الذين حصلوا على تكوين جامعي أو على الأقل تكوين ثانوي فقال: «كانوا حوالي مائة شخص وكانوا ينتمون إلى أسر ميسورة الحال،

¹ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص220.

² - محمد عباس، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، الدار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص16.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 161-162.

ونتيجة لتكوينهم بالمدارس الفرنسية أصبحوا يحسون بعدم المساواة بينهم وبين الفرنسيين وعدم وجود التمثيل السياسي للجزائر الذي يمكنهم من خلاله استرجاع جانب من حقوقهم»¹. وذوي الثقافة الفرنسية الداعية إلى الاستيعاب بدون قيد، وأطلقت هذه التسمية على عناصر هذه النخبة تقريبا في حدود 1909م.²

كما أن مصطلح "الشبان الجزائريين" ورد بالتحديد من الدول الغربية وروجت له وسائل غربية، وكان الهدف من وراء هذا الترويج هو إبراز دور النخبة المتكونة في المدارس الفرنسية الاستعمارية التي أسسها الاستعمار في البلدان المستعمرة على حساب النخبة المحافظة التي أطلق عليها اسم "النخبة التقليدية" والتي فانتها في نظر الفكر الاستعماري الغربي أساسيات التطور.³ ولم تكن حركة الشبان الجزائريين حركة وطنية بحتة مثل حركة شبان تونس ومصر وتركيا، لأنهم من خلال مطالبهم اتجهوا إلى الاندماج ضمن المجتمع الفرنسي وثقافته⁴، كما يشبه الكاتب والصحفي الفرنسي سيرففيه "Servier" الذي عاش في الجزائر جماعة النخبة الجزائرية بجماعة تركيا الفتاة⁵، وكذلك بجماعة مصر الفتاة في الطموح والآمال وفي تولي الزعامة، فقد وصفهم بأنهم فخورين يحملون معهم أفكار سيئة أي معادية لفرنسا غير راضين بحالتهم، ولكن سيرففيه وضح أن جماعة النخبة الجزائرية لم ترفع شعار الجزائر للجزائريين خلافا لأعضاء تركيا الفتاة الذين كانوا

1 - عبد الله مقلاتي، المشروع الفرنسي الصليبي 1830-1962م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010، ص170.

2 - محمد تقيّة، الثورة الجزائرية، ترجمة، عبد السلام عزيز، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000، ص12.

3 - أبو القاسم سعد الله، بحوث في تاريخ العرب الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2015، ص206.

4 - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر ما بين الحربين 1919-1939م، مركز الطباعة، الجزائر، 1982، ص23.

5 - تركيا الفتاة، هي حركة سياسية تأسست سنة 1889م أثناء الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، ذلك أن عدد من طلاب المدارس التركية خاصة طلاب الطب العسكري في إسطنبول شكلوا جماعة سرية معارضة للسلطان عبد الحميد الثاني، وكانوا يطمحوا إلى تطبيق الأفكار التي تعلموها في المدرسة، وكانت تحركهم نزعة وطنية وأغلب عناصرها ينتمون إلى العرب المسيحيين والأكراد والأتراك، أنظر: مريم علي تاقوبايت، ربيعة تعكرميت، نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين الشيخ عبد الحليم بن سماية أنموذجا، جامعة الجبالي بونعامة، خميس مليانة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، 2016-2017، ص19.

يحاولون استعادة أمجاد إمبراطوريتهم، ولأعضاء مصر الفتاة الذين كانوا يطالبون بمصر للمصريين.¹

كما يعرفهم إميل فيليكس قوتي Emiles Félix Gautier: «إن المتعلمين من أبناء الأهالي الجزائريين في المدارس الفرنسية هم بمثابة الميليشيات الثقافية "Melis Intellectuels"»، والقصد من عبارة "خلاس" حسب أصولها تعني ذلك النتاج البشري الذي يحمل ثمرة تزواج هجين، فالمتعلمون الجزائريون الفرانكوفونيون يمثلون حسب رأيه فئة هجينة إذ لا يمكن اعتبارها في آخر المطاف جزائريين بالمفهوم الشامل ولا فرنسيون.²

وترجع بداية نشأة حركة الشبان بشكل فعلي وعلمي عام 1892م، حيث أن جول فيري³ Jule Ferry الذي كان يسعى لتثبيت الوجود الاستعماري في ذهنية الأهالي، وتكوين عقلية أهلية قابلة لذلك⁴، ومع هذا فإن الشبان الجزائريون لم يشكلوا حزبا سياسيا منظما، بل كانوا عبارة عن مجموعة تكونت حول نادي الترقى أو جمعيات ثقافية مثل الراشدية.⁵

ومن هنا لا يمكن اعتبارهم حركة سياسية تقوم بحملة سياسية واسعة تستهدف الضغط على الإدارة الفرنسية لكي يقبلوا بمبدأ السماح للجزائريين أن يأخذوا مناصب سياسية عليا ويشاركوا في تسيير البلاد⁶، وترجع بداية نشأة حركة الشبان الجزائريين إلى سنة 1892م إثر زيارة جول فيري

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص160.

2 - عبد الله حمادي، المرجع السابق، ص42.

3 - جول فيري: ولد في 05 أبريل 1832م، من أنصار الحركة التوسعية الفرنسية، أسس الحزب الاستعماري، تبنى مقولة أن الأجناس أو الشعوب تتمتع بواجب الوصاية والرعاية على الشعوب البدائية المستعمرة، وبأن الشعوب الأولى تضطلع بدور تحضير وتأهيل الشعوب الثانية، كما انضم مؤتمرات وندوات لشرح أبعاد التوجه الاستعماري، أنظر: إياد علي الهاشمي، تاريخ أوروبا الحديث، ط1، دار الفكر، عمان، 2010، ص211.

4 - أحمد مريوش، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي في الجزائر خلال فترة الاحتلال، مجلة المؤرخ، العدد 9-10، الجزائر، 2010، ص277.

5 - ناصر الحاج، موقف الجزائريين من التجنيد الإجباري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2004، ص45.

6 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص206.

ولجنته¹ مدينة الجزائر بصفته رئيسا للجنة مجلس الشيوخ الذي مكث بالجزائر لمدة شهرين²، وأثناء إقامته بها استطاع أن يتعرف على ثلثة من المسلمين الفرنسيين الذين لمس لديهم بعض الوعي³. ومن بين هؤلاء المثقفين المفرنسين الذين تلقوا تكوينا في المدرسة الفرنسية المحامي بوردنة والترجمان بوقطري وبن بريهمات والدكتور الطيب مرسل⁴ والذين احتجوا على ظلم الإدارة وتحدثوا عن مشاكل المواطنة⁵، كما أن ظهور هذه الفئة من الشبان الجزائريين المثقفين بالثقافة الفرنسية التي كانت تطمح منذ البداية من أجل خدمة مصالحها، ونذكر هنا ما قام به جول كامبون الذي كان منشغل بفكرة توظيف فئة جديدة من الأهالي سعيا منه إلى تكيل ما يمكن اعتباره بمثابة "قيادة أركان المثقفين المسلمين"، وهذه الفكرة طرحت في 16 أبريل 1897م في مؤتمر المستشرقين بالجزائر، حيث استقر الأمر على دعوة بعض عناصر هذه النخبة إلى باريس وبالتحديد إلى مدرسة الحرية لمساعدتهم على تأسيس حزب ليبرالي كما أعلن كل من إدموند وتي ووليام مارسيه في حدود عام 1901م على ظهور حركة في الجزائر وكانوا يطمحون إلى تحديد أمور دينهم على ضوء الأفكار المقتبسة من الحضارة الأوروبية⁶.

¹ - لجنة جول فيري تأسست في 17 مارس 1892م، وكانت مشكلة من سبعة نواب في مجلس الشيوخ برئاسة جول فيري، لخصت هذه اللجنة أعمالها في 18 بندا وهي التعليم، المحاكم الإسلامية، الضرائب والجبایات، إعانة الفقراء والمساكين، الملك المشاع، القوانين الاستثنائية، التجنيد الإجباري، التجنس والانتخابات العامة، للمزيد أنظر: خديجة نعيجي، إسهامات كتلة النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين في تفعيل النشاط السياسي للجزائر 1927-1938م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015، ص9.

² - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص202.

³ - شارل روبيير أجيرون، المصدر السابق، ص704.

⁴ - الطيب مرسل، ولد سنة 1865م بوهران، ممثل بلدي حامل الجنسية الفرنسية، عضو في جمعيات خيرية وثقافية، عضو في حركة الشبان الجزائريين، أنظر: الجمعي خمري، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين، دراسة تاريخية وسياسية مقارنة، ج2، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص487.

⁵ - محفوظ قداش، الجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص21.

⁶ - شارل روبيير أجيرون، المصدر السابق، ص707.

تحيزت هذه النخبة إلى فرنسا وقوانينها وابتعدت عن دينها وحضارتها وانتمائها العربي الإسلامي، وبالتالي اعتمدت على القوانين الفرنسية من أجل المطالبة بحقوقها.¹

¹— Abbas Ferhat, Le jeune Algérien, ENAG, Rouïba, 2009, p9.

المبحث الثاني: الانتماء الاجتماعي للنخبة الجزائرية الفرانكوفونية

تنتمي هاته الفئة في الغالب إلى عائلات ذات مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، واصطلاح على تسميتها بالعائلات البورجوازية، وتتكون جماعة النخبة من محامين، أطباء، معلمين والمتخرجين عموما من المدارس الفرنسية، لذلك فهم يعتمدون مظهر النخبة الأوروبية في طريقة اللباس والعيش والكلام¹، ونتيجة لرفضهم الدائم الانتماء إلى اللغة والعادات والتقاليد العربية الإسلامية جعلهم يندفعون وبقوة نحو الحضارة الغربية محاولين الاندماج من خلالها في المجتمع الفرنسي الغربي، وذلك بتكوينهم لصداقات مع الأوروبيين والزواج من الأوروبيات والفرنسيات خاصة، وتعليم أبنائهم في المدارس الفرنسية باعتباره السبيل الوحيد لإخراج مجتمع جزائري متقدم.² ورغم هذا الانجذاب من طرف هاته الفئة إلى الحضارة الأوروبية، إلا أنهم لم يكونوا مستعدين للتخلي عن الإسلام أو التوصل من وسطهم الأهلي، فهم لم ينكروا تعاطفهم مع آبائهم³، ويبين فرحات عباس انتماءه إلى الطبقة البورجوازية حيث يقول: «إنني من سلالة فلاحية ولئن كان أبي وإخوتي موظفين فوق ذلك عرفها في حياتهم إني ترعرعت وسط أولئك الفلاحين».⁴ كما ذهب الشريف بن حبيلس إلى نفي أن يكون من طبقة بورجوازية فهو يذكر أنه منحدر من عائلة فقيرة وسط الأهالي.⁵

ويرى الجمعي خمري «أنه تاريخيا غالبية الشبان الجزائريين ينحدرون من عائلات جديدة احتلت مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري المسلم، وذلك أن الفرنسيين وبعد القضاء على العائلات الضاربة بجذورها في أعماق تاريخ المجتمع الجزائري استخلفتها بعائلات قيادية جديدة لتلعب أكثر

¹ - Mohamed Teguia, L'Algérie en Guerre, O.P.U, Alger, p 33.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص162.

³ - علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940م، ترجمة، محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص488.

⁴ - فرحات عباس، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، ترجمة، أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011، ص88.

⁵ - Chérif Ben Habiles, op.cit, p05.

من دور على المستوى المحلي، فهي ممثلة للمجموعة الإسلامية من جهة وسند للنظام الاستعماري من جهة أخرى.¹

ولقد حاولت هذه الأسر الجديدة في المجتمع الجزائري التعايش مع العنصر الفرنسي ولم لا الوصول إلى مكانة مرموقة بكل الوسائل، فهي مستعدة للتضحية بأي شيء مقابل هذه الخطوة، ومن بين هذه العائلات عائلة بن تامي وعائلة بن رجال من تلمسان والتي عين أحد أفرادها وهو حمزة بن رجال قاضيا، وعائلة بوضرية في العاصمة، وكان أفرادها تجارا وأطباء ومحامين، كما نجد عائلات أخرى أكثر حداثة من الأولى، ونذكر منها: تامزالي وكان بلقاسم ولد حميدة طبيبا وأحد منظري حركة الشبان الجزائريين.²

وقد عملت هذه العائلات على التعايش مع الإدارة الفرنسية، ولقيت هذه المبادرة قبولا لدى فرنسا وكافأتهم بتقريبهم من السلطة وزيادة ثروتهم وتقليد أبنائهم المناصب الإدارية ونتج عن هذا التواصل تغير في الفكر، وأصبحت هذه الفئة مستقطبة للفكر الغربي ويظهر ذلك من خلال تقليد طريقة العمل والحياة وإرسال الأبناء للمدارس الفرنسية وإخراجهم على الطريقة الفرنسية، كما تزوج بعض أفرادها فرنسيات واندمجوا في الوسط الفرنسي وأصبحوا يميلون أكثر إلى الحياة الأوروبية.³ كما أن هذه النخبة كانت تحتقر الحياة الأهلية الاجتماعية، وكانت أكثر ميلا للانسحاب من هذا الوسط والتشبث أكثر بالثقافة الفرنسية وأبدت إعجابها بحضارتها، وقد ترجم هذا التوجه فيما بعد كل من بن تامي بلقاسم والصيدلي فرحات عباس الذي كان أحد أبرز المفكرين لحركة الشباب الجزائريين خاصة بعد الحرب العالمية الأولى.⁴

ويبدو أن بعض الدراسات وضحت أنه خلال الفترة الممتدة ما بين 1900 إلى 1930م ما يزيد عن نسبة 58% من الشبان الجزائريين ينتمون إلى البورجوازية العليا أو الأرستقراطية، وأن

¹ - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 59.

² - الجمعي خمري، المرجع نفسه، ص 65.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج 2، المرجع السابق، ص 162.

⁴ - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص ص 64-65.

41% من أفرادها ينتمون إلى فئة ملاك الأراضي والعقارات، أما بقية أفراد النخبة فيشكلون طبقة وسطى تتألف من البورجوازية التي تتراوح بين البيروقراطية وبين ملكية الأرض.¹

كما يحدد جورج مارسيه الفئات الاجتماعية للنخبة بقوله: «إنكم أنتم المتجذرون في التراب الجزائري والمخرجون من ثانوياتنا ومدارسنا، إنكم بثقافتكم أكثر منه بانتمائكم الاجتماعي تنتمون إلى ما يمكن أن نسميه بكل استحقاق النخبة الأهلية، إن هذه النخبة التي لها مكانتها بالنسبة إلى جماهير الأهالي، هذه النخبة المكونة من بعض الأطباء الشرفاء وبعض المحامين وبعض الصحفيين اللامعين وكذلك المعلمين الذين يعون دورهم في نشر الأنوار والواجب الذي عليهم تجاه فرنسا التي صنعت منهم مجانا ما هم عليه اليوم».²

وحسب ما ذكره مارسيه فإن الفضل في تكوين النخبة الجزائرية الفرانكوفونية يعود للمدرسة الاستعمارية بنوعيتها المدنية والعسكرية خاصة وأن هدف الهجمة الاستعمارية كان تجسيد مشروع ثقافي قائم على محو كل ما له علاقة بالتعليم العربي الإسلامي وترسيخ التعليم الغربي في طريق دمج عقلية الفرد الجزائري بالحضارة الفرنسية.³

وتذكر فاني كولونا (Fanny Colona) أن أول اتصال للمسلمين الجزائريين بالمدرسة الفرنسية يعود إلى السنوات الأولى من الاحتلال، فمنذ 1833م شرعت الإدارة الفرنسية في وضع النواة الأولى لهذه المدارس بالعاصمة، وتواصلت الجهود الاستعمارية لتحقيق المشروع القاضي بتعميم التعليم الفرنسي، ومنذ بداية 1860م أعطيت صلاحيات للإدارة الفرنسية في الجزائر بفتح مدارس جديدة وتأسست حوالي 36 مدرسة ما بين 1860-1870م وأنشأ المارشال فايون أول ثانوية في العاصمة وسميت بالمعهد العربي الإسلامي، لهذا نجد أن معظم أعضاء حركة الشبان الجزائريين في انتمائهم الاجتماعي والثقافي من شريحة المدرسين المتعلمين في المدارس الرسمية

¹ - سلوى لهالي، حركة النواب المسلمين الجزائريين الإدماجيين 1927-1954م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص16.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص160.

³ - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص 71.

ومن أمثال ذلك: رابح زناتي¹ بن رحال محمد الذي كان أول مثقف جزائري ينال البكالوريا في سنة 1874م.²

¹ - من كبار دعاة الإدماج والمتحمسين له، معلم اللغة الفرنسية، كما كان صحفياً دافع عن سياسة الإدماج، للمزيد أنظر: خديجة نعيجي، المرجع السابق، ص 52.

² - سلوى لهاللي، المرجع السابق، ص 17.

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية مطلع القرن

العشرين

1- دور المدرسة الفرنسية:

ويشيد فرحات عباس وهو أحد الأعضاء البارزين في حركة الشبان الجزائريين بدور المدرسة الفرنسية ويعتز بها وبنفسه كطالب درس لدى أساتذة ومدرسين فرنسيين قائلا: «...عرفت كثيرا من دعاة المدرسة الفرنسية ومبشري العلم، إن حبهم لتلاميذهم المسلمين وإخلاصهم لتعليمهم لا يساويها إلا حرصهم على التقارب بين الجزائريين وفرنسا».¹

وما يفهم من كلام فرحات عباس أن جماعة النخبة المفرنسة كانوا يؤمنون إيمانا قاطعا بالحضارة الفرنسية والتعليم الفرنسي وأبدوا رغبتهم فيه بحجة أنهم ليسوا أقل كفاءة أو ذكاء أو اجتهاد من الفرنسيين أنفسهم، وأن الحضارة الإسلامية لا تتعارض مع التقدم الإنساني، وعليه فقد رأوا أن ما قدمته فرنسا لا يساوي القليل مقارنة برغبتهم في تطوير المجتمع الجزائري ونشر التعليم الفرنسي.²

ويؤكد الجمعي خمري بأن هناك دور آخر للمدرسة العسكرية الفرنسية في بلورة الثقافة الفرنسية للنخبة الجزائرية التي كان لبعض أعضائها دور في الدفاع عن مصالح الجزائريين، ومن هذه الكليات الحربية هي مدرسة الفور (Alfort) ومدرسة سان سير (Saint Sir) وسومر (Soummer).³

كما يؤكد أبو القاسم سعد الله أن المدرسة الفرنسية كانت المنطلق الحقيقي للنخبة الجزائرية الفرانكوفونية التي تكونت في المدارس والمعاهد الفرنسية بمختلف تخصصاتها ورغم حبهم وتعلقهم بالحضارة الفرنسية لكنهم تألموا لوضع الجزائريين وحاولوا إخراجهم من هذه الوضعية، وهذا ما جعلهم يكونون معلمين وصحفيين وأطباء وصيادلة، على الرغم من تخوف الإدارة الفرنسية من

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار...، المصدر السابق، ص136.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص65.

³ - الجمعي خمري، المرجع السابق، ص78.

تعليم أبناء الأهالي التي كانت ترى فيهم خطرا خاصة وأنهم من خريجي المدارس الفرنسية إلا أنها سعت لتكوين نخبة من الأهالي تكون همزة وصل بين الفرنسيين والجزائريين وتصبح هي الرائدة لإدماج الشعب الجزائري في فرنسا.¹

2- سياسة شارل جونا:

حكم شارل جونا (Charles Jonnart)² الجزائر مطلع القرن العشرين ثلاث مرات على الرغم من أن سياسته تميزت بالقمع الإداري الشديد، والمتمثل في إنشاء المحاكم الرادعة عام 1901م عقب ثورة عين التركي³، وكذلك منشوره القمعي عام 1906م والخاص بقمع أي انتفاضة أو حركة احتجاجية من قبل الأهالي، والذي أعطى صلاحيات غير مسبقة للقوات الفرنسية لقمع أي تحرك أو احتجاج أهلي تحت المسمى الإخلال بالأمن العام، وفي نفس السياق أصدر سنة 1908م قرار يقضي بمنع الحج⁴، إلا أن هذا الأخير تبنى من جهة أخرى سياسة انفتاحية، فدعى الجزائريين إلى ضرورة الانفتاح على حضارتهم العربية الإسلامية وإصلاح أحوالهم والسماح بتعلم اللغة العربية في مختلف المدارس والتخفيف من حدة الضرائب المفروضة على الجزائريين، ودعا النخبة الجزائرية إلى نشر مختلف كتب التراث العربي والإسلامي وتقليد أعيان الجزائر مناصب مرموقة وتم تشييد جامعة الجزائر 1909م ومبنى البريد المركزي ومقر ولاية الجزائر.⁵

¹ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص157.

² - شارل جونا، ينحدر من عائلة بورجوازية شمال فرنسا، ولد في 27 ديسمبر 1857م، زاول دراسته في سانت أومير ثم تابعها في باريس بكلية الحقوق، وفي 22 ديسمبر 1881م عين في مكتب الحاكم العام في الجزائر، ثم انتخب عضوا في مجلس الشيوخ، وتوفي في 30 سبتمبر 1927م، أنظر: خديجة نعيجي، المرجع السابق، ص11.

³ - بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989م، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص118.

⁴ - عبد القادر خليف، أحمد توفيق ودوره في الحركة السياسية والثقافية بتونس والجزائر، أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص8.

⁵ - بشير بلاح، المرجع السابق، ص119.

3-قانون 1900 (قانون الاستقلالية المالية):

لقد منح هذا القانون المعمرين أن يسيروا كل الشؤون المالية والاقتصادية الخاصة بمستعمرة الجزائر، كما أعطاهم قوة مراقبة الميزانية وشبكة الخطوط الحديدية والمواصلات والغاز والكهرباء، كم أذن لهم أن يشرفوا على الأعمال العامة ويطوروا موارد البلاد تحت وفوق الأرض، هذا ما جعلهم يرهقون الأهالي الجزائريين بالضرائب وأهملوا حاجياتهم الاقتصادية والاجتماعية ووجهوا المصاريف إلى المشاريع التي تخدم مصلحتهم، وبالتالي زادوا في معاناة الجزائريين وتخلفهم.¹

4-قانون التجنيد الإجباري:

لقد طبقت فرنسا قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين منذ عام 1912م وذلك لحاجتها إلى قوات عسكرية جديدة بعدما أرسلت قواتها إلى المغرب الأقصى، وصدر هذا الأخير في 03 فيفري 1912م، حيث حددت فترة التجنيد بثلاث سنوات لكل شاب جزائر بلغ سن الرشد (18 سنة)، وقد عارض الجزائريون هذا القانون واعتبروه أمرا لا يهمهم لأنهم سيدافعون عن بلد ليست بلدهم، غير أن النخبة الجزائرية المفرنسة لم تعارض هذا القانون، واعتبرته وسيلة لتحقيق المساواة مع الفرنسيين.²

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار...، المصدر السابق، ص106.

² - مريم علي تاقوبايت، ربيعة تعكرميت، المرجع السابق، ص ص39-40.

المبحث الرابع: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية (المطالب والمواقف)

اعتقد بعض الشبان الجزائريين برسالة فرنسا الحضارية، وأصبح من الطبيعي أن يروا في فرنسا وطنهم الأم حسبما ما تعلموه في المدرسة الفرنسية، وأقبل عدد قليل منهم على التجنس بالجنسية الفرنسية، لاعتقادهم بتفوق الحضارة الغربية والتي تحقق طموحاتهم في العدالة والمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، ورغبة منهم في الارتقاء الشخصي على الرغم أنهم كانوا أمام إشكالية صعبة التقبل وباهظة الثمن، ذلك أن الدين الإسلامي ليس فقط أسس وقواعد بل هو منهج حياة ديني وديني لا يفصل بين ما هو روحي وما هو معنوي، فنجد أن البعض منهم اختار اعتناق الديانة المسيحية وانخرطوا في "الاتحاد الكاثوليكي الأهلي" الذي أسس جريدة "المتورني"، وكان من آثار هذا الاختيار الذي فضله المتجنسون أنهم أصبحوا محل عداوة من قبل الأهالي واتهموا بالكفر والردة، وأطلقوا عليهم تسمية "المتورنين" في إشارة إلى أولئك الذين تخلوا عن مقوماتهم الشخصية مقابل الحصول على الجنسية الفرنسية.¹

ولعل ما زاد في ابتعادهم عن مجتمعهم تفضيل هؤلاء الشباب الزواج من أوروبيات، فسنوات الدراسة الطويلة والاحتكاك المستمر بالمجتمع والثقافة الفرنسية خلق عندهم نوع من الشعور بالغربة عن المجتمع الأصلي، وعكس الزواج من الأوروبيات صورة تلك الغربة التي حدثت عند الشاب الجزائري المتعلم والمتأثر بالثقافة الغربية، والمرأة الجزائرية التي ظلت على تخلفها وتحفظها وأصبح الشاب الجزائري المتحضر بين خيارين كما يقول ابن حبيلس بنات الريف وبنات المدينة اللواتي أصبحن يخرجن للأسواق ونجدهن في الشوارع، وفي كلتا الحالتين هنّ لا تلبين طموحات شاب يرفض أن يكون جزءا من مجتمع متخلف.²

احتل أعضاء النخبة الجزائرية الفرانكوفونية مكانة هامة في المجتمع، فبرز منهم شخصيات كان لها دور كبير على الساحة الثقافية والسياسية، ومن بينهم القاضي وعضو نادي صالح باي

¹ - فتيحة صافر، حركة الشبان الجزائريين ظهورها وتطورها فيما بين 1900-1930م، أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 2015-2016، ص112.

² - فتيحة صافر، المرجع نفسه، ص113.

الشريف بن حبيلس من قسنطينة ومواطنه الدكتور مرسللي من أوائل القياديين في حركة النخبة ورئيس رابطة المواطنين الفرنسيين من أصول أهلية (Ligue des Citoyens Français (D'origine Indigène)¹، وكذلك طبيب العيون بن قاسم بن تهامي² الرئيس الشرفي للعديد من الجمعيات والنوادي الثقافية، كما كان على رأس الوفد الذي سافر إلى باريس سنة 1912م إلى جانب المحامي أحمد بوضربة³ الذي ترأس وفد الشبان لمقابلة كليمنصو⁴ سنة 1908م.

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهرت مجموعة من المعلمين كان لهم أثر واضح في مسار تاريخ النخبة الفرانكوفونية في الحركة الوطنية وأبرزهم رابح زناتي زعيم المتجنسين بلا منازع، خاصة بعد تأسيسهم لجمعية "المعلمين الأهالي" التي كانت من أكثر الجمعيات التي آمنت بالسياسة الاندماجية كحل للمسألة الجزائرية، وقد روج أعضائها الذين كانوا متجنسين لهذه الأفكار من خلال جريدة "صوت الضعفاء" التي أسسها سعيد فاسي إلى جانب العربي طاهرات وسعيد محند لشاني، والمعروف عنها شعار "الجزائر ستصبح فرنسية"، ثم جريدة الاتحاد التي أسسها النائب حاج حسن بشارزي⁵ بتاريخ 17 جويلية 1927م، والتي تحولت إلى السنجاق بداية من 16 جوان 1928م وفي جوان 1929م أسس المتجنس رابح زناتي صوت الأهالي (La Voix Des

¹ - تنظيم أسسه المتجنسون الجزائريون للدفاع عن مصالحهم أمام الإدارة الفرنسية التي بالرغم من صفة المواطنة التي كانوا يتمتعون بها، وبالتالي تكفل لهم الاستفادة من كل مزايا القوانين الفرنسية كغيرهم من الأوروبيين في الجزائر، وظل المتجنسون الجزائريون يعانون من التمييز والفرقة مما دعاهم إلى التكتل في تنظيم يدافع عن مصالحهم، أنظر: نفسه، ص114.

² - ابن تهامي (1873-1973م)، متحصل على شهادة الطب من مدرسة الطب الفرنسية، ثم انتقل إلى جامعة مونبيلييه، خضع للامتحان بع تخرجه وأصبح من العاملين في الطب والسياسة، فتزعم حركة الشبان الجزائريين، تجنس سنة 1905م بالجنسية الفرنسية، نشط بالجمعية الراشدية، أنشأ مع زملائه الاتحاد الفرنسي الأهلي بعد الحرب العالمية الأولى، أنظر، الجمعي خمري، المرجع السابق، ص09.

³ - أحمد بوضربة، محامي وعضو المجلس البلدي بالجزائر، تقلد عدة مناصب منها قيادة الوفد المدافع عن حقوق الأهالي سنة 1908م، كما شغل محامي بمحكمة الاستئناف بالعاصمة، المحامي الجزائري الوحيد بالمحاكم الفرنسية خلال الربع الأول من القرن العشرين، الجمعي خمري، المرجع نفسه، ص97.

⁴ - نائب راديكالي وليبيرالي، ثم سيناتور، متحمس للاستعمار، تولى رئاسة لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الأمة، خديجة نعيجي، المرجع السابق، ص27.

⁵ - نائب مالي، رئيس فيدرالية المنتخبين بالناحية الوهرانية، حامل الجنسية الفرنسية، أنظر: خديجة نعيجي، المرجع السابق، ص52.

indijens) إلى غاية 1941م، فكانت لسان حال المثقفين الجزائريين للدفاع عن أفكارهم الاندماجية.¹

كما نجد إسماعيل حامد وهو أحد المتجنسين الأوائل يقول: «أن الجزائر ستصبح مقرا تذوب فيه الجنسيات المخالفة للمسيحية، تلك الجنسيات التي عاشت في الجزائر في أطوار تاريخية متعاقبة من عرب وأمازيغ الذين بقوا بعيدين عن كل دخيل أجنبي، وعندما يتحقق ذلك سيخلق فوق الأرض الجزائرية شعبا واحدا وهذا الشعب يدعى الشعب الفرنسي»²، واستبعد أن يكون الاندماج الكلي ناجحا والأقرب عنده هو الاندماج المحدود عن طريق الزواج المختلط، فعن طريق هذه الطبقة ستتم سياسة التشارك والتعليم التي تبدو الشكل الأكثر ملائمة لكل تطور كولونيالي.³

وعلى الرغم من تراجع مصداقية النخبة الفرانكوفونية بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة موقفها من قانون 1919م وخاصة من موضوع التجنس، فقد ظل أعضائها يروجون لأفكارهم معتقدين أن الحل الوحيد للأهالي يكمن في قبول سياسة الاندماج وشروطها للخروج من التخلف وحصولهم على حق المواطنة المشروطة، هو بداية الطريق نحو حصولهم على حقوقهم التي حرموها منها، ويبرز أحد أعضاء النخبة الفرانكوفونية الجزائرية مؤيدا لسياسة الاندماج التام وهو رابح زناتي الذي كتب في أحد أعداد جريدته "صوت الأهالي" قائلا: «إن قناعتنا تقتضي منا الاختلاط مع الفرنسيين والذوبان في العائلة الفرنسية كلية ومن دون تحفظ، ومن أجل هذا نسخر كل جهودنا للوصول إلى الهدف»، وفي نفس السياق نشر عام 1938م كتابه الموسوم بـ "المشكل الجزائري كما يراه أحد الأهالي" تطرق فيه إلى السياسة الاندماجية الفرنسية، واقترح أساليب لتحقيق هذا الاندماج.⁴

كما اعتبر سعيد فاسي الاندماج وسيلة لقطع الصلة مع ماضي الجزائر الإقطاعي مقدما مثالا وأنموذجا للثورة الفرنسية، فهو يدعو من خلال كتابه الذي نشره عام 1936م والمعنون بـ

¹ - فتيحة صافر، المرجع السابق، ص114.

² - فتيحة صافر، المرجع نفسه، ص115.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص188.

⁴ - فتيحة صافر، المرجع السابق، ص117.

"الجزائر تحت الرعاية الفرنسية وضد الإقطاعية الجزائرية" صراحة إلى الإدماج، ويظهر تأثيره الكبير بالثورة الفرنسية، حيث يواجه بعض الأحياء الجزائريين وكأنهم نبلاء فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر ويتمهم على علماء الدين الذين يسعون لتقوية الدين في النفوس ويشبههم برجال الكنيسة في فرنسا قبل 1789م.¹

ويفهم من كلامه أنه يتوقع من تطبيق سياسة الإدماج الكامل للجزائر ثورة على واقع الجزائريين الذي شبهه بواقع فرنسا قبل ثورة 1789م. ويعتبر كتاب الشريف بن حبيلس الصادر سنة 1914م "الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي" أحسن وثيقة تترجم إيديولوجية النخبة الجزائرية الفرانكوفونية والمتمحورة حول التقارب الفرنسي الجزائري والتي تدافع عن التجنس.

¹ - فتحة صافر، المرجع نفسه، ص118.

المبحث الخامس: ردود الفعل الفرنسية حول نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

تعددت آراء ومواقف الفرنسيين من نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية، هاته الأخيرة أحدثت ضجة في الأوساط الفرنسية، فمثلا جلبت تعاطف الأحرار الفرنسيين، فنجد كل من النائبان روزي وألبان يطالبان فرنسا من تفهم أكثر لمطالب الجزائريين المسلمين، فقاموا بحملة في جريدة Le temps ضد نظام الأهالي، وطالبوا بالمساواة بين الفرنسيين والجزائريين في العديد من المجالات والحريات وإشراكهم في الحياة السياسية الفرنسية.¹

أما الاشتراكيين الفرنسيين فرفضوا التعامل مع هذه النخبة وكل ما أظهره لها من إبراز لهم الولاء، وأنهم حقا كانوا يفكرون في كيفية تحسين أوضاع الجزائر الاجتماعية²، كما وقف المعمرون ضد برامج هذه النخبة رغم اعترافهم بأن للاستعمار الفرنسي محاسن في الجزائر، وذلك خوفا على مصالحهم³، وبالمقابل حاولت الحكومة الفرنسية ترضية هذه النخبة فأصدرت في 13 جانفي 1914م قرارا ينص على توسيع دائرة القسم الانتخابي الأهلي، وذلك بتعديل المادة السابعة من قانون 1884م.

ونص التعديل على زيادة الأعضاء الجزائريين في المجالس البلدية على أن لا تتجاوز الزيادة ثلث كامل الأعضاء ولا عدد 12 عضو، وعلى أن يكون عمر المصوت الجزائري 25 سنة، وأن يكون كذلك مقيم باستمرار في بلدية ثلاث سنوات كاملة دون انقطاع، وعليه أن تتوفر فيه إحدى الشروط التالية: أن يكون مالكا ومقيم في بلده سنة على الأقل، وأن يكون موظف لدى فرنسا في العمالة أو البلدية أو متقاعدا من وظيفته أو عضو في الفرقة الزراعية أو التجارية حامل لوسام فرنسي أو حامل لشهادة من معهد تربوي فرنسي، أو حاصل على جائزة زراعية أو تجارية خاصة بالجزائريين.⁴

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، ترجمة، المعراجي، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2008، ص 239.

² - مريم علي تاقوبايت، ربيعة تعكرميت، المرجع السابق، ص 64.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية...، ج2، المرجع السابق، ص 181.

⁴ - يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني...، المرجع السابق، ص 28.

وفي 15 جويلية 1914م، ألقت الحكومة الفرنسية لجنة من 14 عضو لتناقش مشاكل الجزائريين وصوت المجلس الوطني الفرنسي على الإجراءات التالية: إلغاء السلطة الإدارية والحجز السري وتعويض ذلك بخمس سنوات سجنًا مع تشديد الرقابة استثناء بعض الجزائريين من القوانين الأهلية الزجرية وإعطاء حق المطالبة بالاستئناف لمن طبق عليهم هذا القانون الجديد وهذه الأمور عبارة عن ترضية فقط لهذه الفئة حتى تضمن تجنيد أبناء الجزائر في الحرب العالمية الأولى¹، حيث تمكنت من تجنيد حوالي 17 ألف في بداية الحرب العالمية الأولى وباقي الشبان قاموا بالفرار إلى الجبال، فنشأ عن ذلك اضطرابات كبيرة متمثلة في مظاهرات عدائية قتل فيها عدد من الموظفين الفرنسيين والمعمرين وعدد معتبر من الأهالي².

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص29.

² - مريم علي تاقوبايت، ربيعة تكرميت، المرجع السابق، ص65.

الفصل الثاني

الشريف بن حبيّس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

المبحث الأول: المولد والنشأة

المبحث الثاني: نشاطه السياسي والثقافي

المبحث الثالث: اهتماماته الفكرية ومواقفه من قضايا عصره

المبحث الأول: المولد والنشأة

ولد الشريف بن حبيلس في 25 ديسمبر 1891م بمنطقة شفرول أو شبرول بقسنطينة في عائلة محاطة بالرعاية وتهتم بالشؤون العامة، ومن بين المهمات التي أسندت إلى أجداد من تلك العائلة هي القايد.¹

تولت عائلته العديد من الوظائف الإدارية²، وحظيت بالعديد من الامتيازات على غرار الأسر والعائلات الجزائرية كعائلة علي باي بوعكاز وبولخراس بن قانة³، كان لتنشئة بن حبيلس في وسط اجتماعي عايش من خلاله المعمرين، سواء كانوا أوروبيين أو فرنسيين بمختلف الشرائح دور كبير في قبول بن حبيلس التعايش والاندماج في هذا الوسط بلغة وأفكار وعادات وتقاليده استعمارية منبعها الأساسي المدرسة الفرنسية.⁴

تعليمه:

تمكن الشريف بن حبيلس من متابعة دراسته بالمدارس الفرنسية، وتلقى تعليمه أيضا على يد أهم الشيوخ والمدرسين هناك من أمثال عبد القادر المجاوي ومحمد المولود بن الموهوب.⁵ وبحكم انتمائه الاجتماعي إلى عائلة جزائرية حظيت بالعديد من الامتيازات، فقد زاول تعليمه الابتدائي والمتوسط بالمدارس الفرنسية وتعليمه الثانوي بالمدرسة الفرنسية الإسلامية بقسنطينة⁶، ثم انتقل إلى العاصمة لاستكمال المرحلة الجامعية، واختار دراسة تخصص الحقوق

¹ - <http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif000.759.html=ve%20R.Y.C.3/A9publique>

اطلعنا عليه يوم: 14 أبريل 2018 على الساعة 13.20

² - عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص588.

³ - عثمان سعدي، المرجع نفسه، ص599.

⁴ - محمد السعيد قاصري، النخبة الجزائرية الفرانكوفونية بين التطرف والاعتدال "الشريف بن حبيلس أنموذجا 1891-1959"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع13، ج2، مجلة علمية أكاديمية دولية محكمة، نصف سنوية، تصدرها كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ديسمبر 2017، ص90.

⁵ - نفيسة دويده، الشريف بن حبيلس آراؤه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 72-73، أبريل-سبتمبر 2016، ص69.

⁶ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص ص 290-291.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

بجامعة الجزائر، وبعد إنهاء مساره الجامعي عين بسلك القضاء ومارس مهنته منتقلا بين عدة مدن كسطيف وغيرها، واعتبر أحد أنشط القضاة الجزائريين تكوينا وممارسة.¹

وكان حظه كبيرا في تعلم اللغة الفرنسية على يد مدرسين فرنسيين غرسوا فيه حب فرنسا والتغني بها والتمجيد لها هذا من جهة، ومن جهة أخرى وجد نفسه يعيش في وسط اجتماعي فرنسي أوروبي، فتكونت لديه ثقافة فرنسية غربية ساهمت بشكل كبير في إيمانه القاطع بضرورة دمج المجتمع الجزائري المتخلف في نظره بالمجتمع الأوروبي المتقدم والمتحضر، أما نصيبه من التعليم العربي الإسلامي فإضافة إلى ما سبق ذكره يشير بعض المؤرخين أنه كان ضعيفا، هكذا عكس ما روج له ابن حبيلس الذي كان يرتدد على مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.²

الوظائف التي شغلها:

لم يتوان ابن حبيلس منذ تخرجه والالتحاق بالوظيفة لدى الفرنسيين، ومن بين المهام والمناصب التي شغلها في مسار حياته:

1- القضاء.

2- موثق بمنطقة ذراع الميزان بتيزي وزو.

3- رئيس ودادية القضاة.

4- عضو جمعية الحبوس والبقاع المقدسة.

5- عضو مجلس إدارة النادي الفرانكو إسلامي بالجزائر.

6- عضو في مجلس الشيوخ الفرنسي (1951-1959م).

7- تولى مسؤوليات المجالس البلدية والعمالية.³

كما تمكن بن حبيلس من تأسيس وترأس ودادية موظفي المحاكم المسلمة في الجزائر (Amicale des Personale des Mahakamas de L'Algérie) التي أنشأت سنة

¹ - نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 69.

² - محمد السعيدة قاصري، المرجع السابق، ص 291.

³ - محمد السعيد قاصري، المرجع نفسه، ص 303.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

1920م، ثم تولى منصب الأمين العام لفيدرالية النواب المسلمين بمقاطعة قسنطينة ونشط مختلف
الفعاليات الثقافية التي عرفت المدينة آنذاك، كما حظي بتقدير السلطات الاستعمارية على مختلف
مستوياتها وحصل على وسام الشرف (Chevalier de la légion d'honneur) سنة 1927م¹،
كما حصل على رتبة ضابط في سنة 1936م².

مؤلفاته:

اهتم بن حبيلس مبكرا بمجال السياسية وبإبداء أفكاره السياسية، ولم يمنعه الوظيف الإداري
في مهنة القضاء من التعبير بصراحة عن أفكاره الشخصية على لسان رفاقه واهتم بالكتابة حتى
وجد من اعتبره بأنه أول كاتب جزائري باللغة الفرنسية، وقد كتب عدة مؤلفات منشورة استقطبت
الكثير من القراء والمهتمين بذكر منها بالخصوص:

- كتابه الأول: الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي: L'Algérie Française vue par un indigène في سنة 1914م.

- كتابه الثاني: فرنسا في الجزائر إلى أين (Où Va La France en Algérie) الذي نشر
بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930م، ونشر أيضا بالمطبعة الرسمية كتابه
الهام والدقيق "حصيلة مائة عام لفرنسا" Bilan De cent ans de France³.

- كما ألف كتيب بعنوان: "إلى أين وصلنا؟ Ou en Sommes-nous?" وهو عبارة عن
نشرية صدرت سنة 1931م عن ودادية القضاة التي كان يترأسها هذا بالإضافة إلى
مجموعة من الكتب القانونية المتخصصة التي أصدرها تباعا مثل كتاب: "حماية ممتلكات

¹ - وقد نوهت به مجلة صوت المستضعفين (La Voix des Humbles) في إحدى مقالاته المنشورة بهذه المناسبة (Le cadi ben Habiles Cherif est un rares magistrats musulmans complètement évolué. C'est un de ceux qui font le plus prêchant l'exemple, pour le rapprochement franco-musulman نفيسة دويده، المرجع السابق، ص70).

² - <http://www.senat.fr/senateurbenhabiles-cherif>, op.cit.

اطلعنا عليه يوم: 17 أبريل 2018، على الساعة 11.30.

³ - نفيسة دويده، المرجع السابق، ص70.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

الأهالي القصر بالجزائر ومجلس الإدارة " La protection des biens de mineurs

"indigènes en Algérie et le conseil de gérance" طبع سنة 1923م، وكذا

كتابه عن "إلغاء السلطات القضائية للقضاة " La Suppression des Pouvoirs

Juridictionnels des cadis"، الصادر سنة 1925م.

وله أيضا مؤلف بعنوان: "الأرواح" الذي طبع سنة 1931م.

كما نجده جمع تدخلاته في المجالس النيابية في مؤلفه المنشور سنة 1954م بعنوان:

"تدخلات (نقاشات برلمانية) Interventions: débats parlementaires"، ويعد اندلاع الثورة

التحريرية سنة 1954م استمر بن حبيلس على نهجه في دعوته لمشروع الاندماج، وبالرغم من

تجاوز الزمن له اتخذ من المجالس البرلمانية منبرا للتعبير عن ذلك.¹

لقد فضل بن حبيلس اختيار عنوان مثير وجريء لأهم مؤلفاته "الجزائر الفرنسية كما يراها

أحد الأهالي" وحسب ما يبدو فإن الطبعة الأولى والوحيدة للكتاب هي تلك الصادرة عن المطبعة

الشرقية للإخوة فونتانا بالجزائر العاصمة سنة 1914م، كتب تقديم الكتاب جورج مارسيس مدير

مدرسة تلمسان وصديق المؤلف، وتضمن التقديم مسائل هامة خصت موضوعات الكتاب، كما

أشاد فيه بصديقه وأفكاره.

وقد حظي الكتاب بالاهتمام والعناية من الجزائريين والفرنسيين على السواء، فقد اعتبرته

الباحثة نفيسة دويذة بمثابة "العلامة الأخيرة البارزة في النشاط الفكري والأدبي للشبان في مرحلة

صعود نشاطهم الاجتماعي والسياسي".²

وقد برر الكاتب في البداية أسباب تأليفه لهذا الكتاب بقوله في المقدمة "إن هذا الحكم هو

اعتراف (Confession) خجول لشاب جزائري من الأهالي تربي على مقاعد المدرسة الفرنسية،

والذي يحب بعمق تسمية "فرنسي"، وأرجع الفضل للإدارة الفرنسية في تعليمه وتكوينه، وقال إنه

يدين لها بالامتنان، وهو بذلك "لا يريد تجريح من أسدى له الجميل على غرار ما يفعله بعض

¹ - نفيسة دويذة، المرجع نفسه، ص 71.

² - نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص ص 71-72.

الفصل الثاني — الشرف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

ناكري المعروف، ولا يتملق الأقوياء ممن طوعت لهم الأمور يوما"، إنه يتمنى ببساطة أن يبرهن على وفائه الجميل عن طريق الإسهام بوضع لبنته في البناء الشامخ الذي تشيده الجمهورية الثالثة بالجزائر، أحيانا بتسرع وحرارة ولكن غالبا بنجاح ودائما بسخاء، وختم في الأخير هذا التقديم بقوله "إن هذه الشهادة ستكون البرهان الأمثل لمقابلة المعروف بكل صدق".¹

وحاول بن حبيلس أن يعبر عن وفائه لأساتذته ومسؤوليه من دون أي أحكام مسبقة، بل اعتبره إخلاصا مشروعا لأصحاب الفضل عليه، وهذا الامتتان اللامحدود قد عبر عنه كثير من المثقفين الجزائريين المفرنسين لأنهم حرصوا على إثبات حضورهم وسط مجتمعهم بفضل مكاسب المدرسة الفرنسية.

¹ – Chérif Ben Habiles, op.cit, p05.

المبحث الثاني: نشاطه السياسي والثقافي

نشاطه الدائم أهله لممارسة مسؤوليات في مجالات عدة كرئيس لأحباب القضاة والموظفون السامون في وزارة المسلمون، كما عين عضو جمعية الأماكن المقدسة للإسلام ومجلس الإدارة الفرنسية في العاصمة.¹

ومن أهم الأنشطة السياسية والثقافية التي اضطلع بها الشريف بن حبيلس:

1- المساهمة في تأسيس حركة الشبان الجزائريين وكان عضوا بارزا فيها، والمشاركة في

كتابة بيان حركة الشبان الجزائريين 1912م، ويؤكد بوعلام بن حمودة حول نشاط بن

حبيلس أن هذا الأخير ترأس حركة الشبان الجزائريين قائلا: «إن مطالب حركة الشبان

الجزائريين تحت رئاسة الشريف بن حبيلس تشبه تلك التي رفعها الأمير خالد».²

2- تأسيس لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين، تأسست عام 1908م بالجزائر

العاصمة، وأبرز أعضائها الشريف بن حبيلس وعمر بوضربة وابن التهامي التي كانت

تسعى لتمثيل الجزائريين وتقديم مطالبهم انطلاقا من باريس.³

3- تأسيس نادي صالح باي: عضو بارز فيه، ويذكر بن حبيلس أن النادي كان ينضم

دروس في التعليم العام والمهني والدعوة إلى العمل والأخوة والتعاون وإنشاء جمعيات

خيرية ونشر التعليم ومحاولة التوفيق بين المجموعة الفرنسية والجزائرية.⁴

كما كان عضوا في لجان التربية الوطنية والعدالة، وسجل في مجموعة اليساريين

الجمهوريين، وفي اليسار الديمقراطي، وكان انشغاله الأول تطور الجزائر في الإطار الفرنسي، كما

¹ - <http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif>, op.cit.

اطلعنا عليه يوم: 17 أبريل 2018، على الساعة 11.30.

² - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 298.

³ - محمد السعيد قاصري، المرجع نفسه، ص 299.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج 2، المرجع السابق، ص 145.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

طرح سؤال شفوي على وزير الداخلية وناقشه حول الإجراءات التي سيتم اتخاذها لتفعيل سياسة التعاون الفرنسي الإسلامي في إطار تجديد الثقة المتبادلة والصداقة الدائمة.¹

4- تأسيس فيدرالية منتخبي عمالة قسنطينة: تأسست بقسنطينة في عشرينات القرن الماضي، وعرفت بمكتبة اتحاديات المنتخبين المسلمين بقسنطينة، وقد كانت تتشكل الفيدرالية بالشكل الآتي:

- الرئيس محمد الشريف سيسبان.

نواب الرئيس:

- دحال محمد

- بن يعقوب.

- بن خلاف حسان.

أمين مساعد:

- الشريف بن حبيلس.

وقدمت مجموعة من المطالب لفرنسا أهمها:

- تمثيل النخب في البرلمان والمساواة في مدة الخدمة العسكرية.²

5- تأسيس رابطة أحباب فرنسا في الجزائر 1937م: تضم مجموعة من الشخصيات مثل

الشيخ بن قانة، الباشا آغا سماتي، الباشا آغا الهاشمي، والقاضيين بن ساسي والشريف

بن حبيلس.³

¹ - <http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif>, op.cit.

اطلعنا عليه يوم: 17 أبريل 2018، على الساعة 11.30.

² - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج1، ترجمة، محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، ص ص 329، 350.

³ - محفوظ قداش، المصدر نفسه، ص789.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

وإذا كان الشريف بن حبيلس يدافع عن المسلمين كما ذكرنا سابقا في البرلمان مذكرا بالصعوبات المالية للمسلمين وضرورة المساواة في الخدمة العسكرية، فإننا نجده بالمقابل يؤسس لرابطة أحباب فرنسا في تناقض صريح وكبير في تفكيره.

كما أبدى رأيه في مشروع القانون الإسلامي وشارك في نقاشات حول إنشاء عدالة السلم في الجزائر لتنظيم العدالة، وفي خضم تدخلاته المتعددة كان يدافع بشدة عن قيام العدالة، الأخوة والمساواة في دائرته التي ولد فيها، هاته القيم التي مثلها منذ سنة 1914م عن طريق كتابه الموسوم بـ "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي".

ويظهر لنا في مقال لمحمد السعيد قاصري تطور في فكر الشريف بن حبيلس إذ تغير من التطرف إلى الاعتدال في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، ويبدو أن للبيئة الاجتماعية والثقافية المكونة له دورا في هذه المواقف المتذبذبة، إلى جانب حضور الامتيازات الممنوحة له على اعتباره نائبا في المجلس الوطني الفرنسي وانتمائه لعائلة قدمت خدمات معتبرة لفرنسا من جهة ثانية، على الرغم من تأسيسه لرابطة أحباب فرنسا سنة 1937م التي توحى بالصراع والتذبذب الحاصل في فكر بن حبيلس.¹

ولعل من أسباب تجليات جنوحه إلى الاعتدال مسألة الإشادة بالدور الإصلاحى للإمام عبد الحميد ابن باديس خاصة في قضية علاقة المرابطين بالسلطة الفرنسية، إذ يقول: «إن الجزائر قد بلغت في الانحطاط لدرجة لم يسبق لها مثيل في المجال الفكري والثقافي، ووصل بها الحال إلى الركود التام أو الموت الحتمي في التعليم العالي الذي كان متركزا في الزوايا لم يتغير منذ قرن من الزمن وجهل اللغة العربية قد نمت جذوره خاصة في الأرياف، لم يسبق للوطن الجزائري أن غاص في ظلام الجهل مثلما وصل إليه في العهد الأخير، حين أصبح المسلم في هذا القطر يرفع يديه

¹ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص300.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

متضرعا إلى الله بالنصر لأولئك الذين انتهكوا مقدسات الإسلام وحطموا الرموز الوطنية ليقيموا مكانها كنائسهم وتمائيلهم»¹.

ومما ثنى به بن حبيلس على أهم أقطاب الجمعية ابن باديس قوله: «ومنذ أن وضع ابن باديس برنامج التجديد أخذ يهاجم جميع المعتقدات الملفقة والقوة الرجعية بلا هوادة ويهاجم بكل شجاعة جميع الأحكام المسبقة على مستوى الآراء التي هي العدو الأساسي للشعب الذي يحب الشيخ محبة جنونية، لأنه كان متأكدا أن هذا الأخير محل ثقة، وقد رحل في أخرج الظروف ووطنه في حاجة ماسة إليه، وخصوماه يعلمون مدى خسارة العالم الإسلامي... إن ذكرى وفاة ابن باديس هي أعز الذكريات لدى المجتمع الجزائري لأنها ذكرى رجل شريف ومواطن صالح»².

ولا شك أن في هذه الإشارة اعتراف بمدى استيعاب ابن باديس للعلاقة بين تحرير العقول المفضي لتحرير البلاد في ظل انتشار وتجذر الممارسات المكرسة للتخلف والتقهقر والتي ألصقت بهتاننا بالإسلام الذي شوه صورته أعداء التصوف والطرقية، مشيرا في جانب آخر إلى الرابط الروحي الذي تجسد في إيمان واتباع الشعب لأفكار وطروحات ابن باديس التي لم يكتب لها الانتشار والتوسع من رجل عرف عنه النزاهة والشرف والوطنية.

ولعل من أهم مظاهر التطور نحو الاعتدال هو المساهمة في صياغة ملحق مذكرة أحباب البيان³ الصادر في 26 ماي 1943م ممثلة عن منطقة ذراع الميزان ضمن قائمة 21 عضو التي أمضت على هذا الملحق⁴.

بالإضافة إلى ترشح موقف ابن حبيلس من انتخابات المجلس التأسيسي عام 1946م كممثل عن ولاية قسنطينة بين تيار فرحات عباس الذي يعد من أهم أقطاب الحركة الوطنية في ذلك الوقت، واعتراض فرنسا على بعض ممثليه بحجج واهية، ومحاولة استقطاب السلطة الفرنسية له

¹ - عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م، دار البعث قسنطينة، 1401هـ، ص195.

² - عبد الكريم بوصفصاف، المرجع نفسه، ص ص194-195.

³ - حول البيان وظروف تدوينه ومحتواه وينوده أنظر: فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص ص169-170.

⁴ - يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية...، المرجع السابق، ص86.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

من ناحية أخرى¹، ومن ناحية أخرى «يذكر محفوظ قداش في معرض حديثه عن المجلس الوطني الجزائري أن جاك شوفالبيه اقترح خلال خطابه الموجه لأعضاء المجلس في فيفري 1951م بضرورة تأسيس الاتحاد الفرانكو إسلامي حقيقي بعيدا عن النزعتين المتطرفتين الاستعمار والانفصال.

كما أذان في خطابه تجربة المجلس الجزائري في هيئته الأولى الذي برزت فيه حسب رأيه النمطية بواسطة نزعة تحكمية ساذجة، وفي الهيئة الثانية بواسطة إمعة عمياء، ولقد كان استنتاجه واضحا يواصل قداش: إننا نقدر في اختيارنا لرجال السياسة، بأنه من الأضمن اجتذاب أشباه متمردين على اجتذاب خدام، لقد كان شوفالبيه يبحث عن قوة ثالثة ولقد رد بن حبيلس على الأسئلة المطروحة من شوفالبيه، لكن أولئك الذين كانوا أهلية للحديث باسم الحركة الوطنية وحتى العناصر المعتدلة من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري-فقد التزموا الصمت».

ويذكر قداش عن موقف بن حبيلس في هذا الصدد: لقد قبل هذا الأخير الحوار لكنه أراد سبر خزانه المتواضع في التعبير بلغة ليست لغته قبل أن يترجم مشاعره باللموس لأنه كما يقول لا أنوي الذهاب إلى السجن.²

¹ – Mahfoud Kaddach, Histoire Du Nationalisme Algérienne 1919-1951, Tom2, SNED, Algie, 1980, p758.

² – محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص302.

المبحث الثالث: اهتماماته الفكرية ومواقفه من قضايا عصره

— قبل 1954م:

لقد تعددت وتباينت مواقف الشريف بن حبيلس من مختلف القضايا التي شهدتها الساحة الجزائرية في بدايات القرن العشرين، والتي جمعت بين آراء وطروحات مشتملة على التطرف والاعتدال، بل والتناقض في بعض الأحيان، فهو مدافع شرس على المصالح الفرنسية وتمجيد الاستعمار الفرنسي، في حين نجده مرات أخرى عضوا نشيطا وفعالا لتأسيس النوادي والجمعيات الثقافية التي رآها وسيلة للنهوض بالمجتمع الجزائري وتخليصه من قبضة الاستعمار.

وتبرز جل مواقف بن حبيلس من خلال النصوص الموثقة في مصنفه الذي ألفه سنة 1914م، والذي يحمل عنوان "الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي".¹

ويبدو من الوهلة الأولى أن مقدم الكتاب جورج ماسييه شكره على حكمه العادل والمنصف في نظره على الاستعمار الفرنسي ومن أهم مواقفه ما يلي:

1- على المستوى السياسي والعسكري

1-1- (الأمن):

يرى بن حبيلس "أن الجزائر كانت عبارة عن عش حقيقي للأشرار وقطاع الطرق والقرصنة وتسودها الفوضى والغموض والاضطراب... ولم تعرف استتباب الأمن إلا منذ أن صارت أرض فرنسية، ولم يكتف بهذا الطرح بل ذهب إلى أن فرد الأمن في الجزائر يعتبر أحد أهم الإنجازات الفرنسية على الإطلاق، وعليه فالجزائريون مدينون لفرنسا ويفرض عليهم الواجب حبها والذوبان في مجتمعها، لذلك فخدمة الأمن والعمل على استتباب الأوضاع واستقرارها هو عمل على إدماج إخواننا وتكيفهم واستيعابهم".²

¹ - عبارة عن مجموعة من المقالات والكتابات التي ألفها ثم جمعت في كتاب مطبوع سنة 1914م على حساب مطبعة الشرق الإخوة فونتانا يقع في 209 صفحة وهو مترجم إلى النسخة العربية من طرف مجموعة من الباحثين، طبع في دار بهاء الدين، قسنطينة، 2003.

² - الشريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ط1، ترجمة، عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص19.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

ويتضح أن موقف بن حبيلس فيه الكثير من المغالطات والاختزال وتشويه الحقائق التاريخية، فهل كانت قبل الاستعمار الفرنسي محطة لقطاع الطرق ومنطلقا لهم؟ أم هي في حقيقة الأمر دفاعا وتحد للتحرشات الأوروبية، ثم إلى أي مدى انتشر الأمن في ربوع الجزائر المستعمرة من طرف فرنسا؟ أم هو أمن مرهون بالمعمرون وأذئابهم دون الأهالي الجزائريين؟ ثم لو سلمنا سلفا بأن الأمن قد حقق كما زعمت فرنسا بما نعلل تلك الترسانة من القوانين والإجراءات المطبقة بالجزائر انطلاقا من سياسة الأرض المحروقة والإبادة الجماعية مروراً بالسياسات الجائرة للجمهورية الفرنسية الثالثة.

ألم يذكر لنا المؤرخ أبو القاسم سعد الله الوضع الذي كان سائدا قبيل الحرب العالمية الأولى بقوله: «هذا زمان الصمت فإذا تكلمت الباطل فتعيش وإذا تكلمت الحق فستموت».¹ كما نجده ينتقد ويعقب على المعارضين لرأيه قائلا: «إن الذين يفاضلون بين ما قبل 1830م وما بعدها من غير إثبات صحة وجهة نظرهم هم محرفون للحقائق مدافعين عن إخوانهم في الدين فقط»²، وهو تحيز واضح وجلي لعهد الاحتلال.

1-2- التجنيد الإجباري:

شكل التجنيد الإجباري لدى فئة من النخبة الفرانكوفونية فرصة للحصول على المساواة السياسية، وبن حبيلس واحد منهم، ومما يذكر بشأن موقف بن حبيلس وجماعته من التجنيد الإجباري أن "بن حبيلس هو الذي كتب سنة 1914م كتابا عن تيارات التغيير والإصلاح وجعل عنوانه الجزائر كما يراها أحد الأهالي، وهو مجموعة آراء وملاحظاتها جمعها ونشرها، وقد جاء الكتاب على لسان الاندماحيين الذين منهم حامد وابن التهامي وبوضرية ومرسلي، وفي الكتاب أصدااء هذه الفئة التي تبنت التجنيد الإجباري إذا كان يحقق المطالب السياسية والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين، والمؤلف -الشريف بن حبيلس- واحد منهم".³

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية...، ج2، المرجع السابق، ص ص 204-205.

² - Chérif Ben Habiles, op.cit, p09.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج7، المرجع السابق، ص209.

1-3-التجنس:

يرى بن حبيلس أن جماعة النخبة هي الأولى من غيرها بالتجنس كونها تمثل صفوة الشباب المتكون في الجامعات الفرنسية وهم فوق العامة ومكانهم بين المتحضرين، ويصف غير النخبة - أي المحافظين- بالمتخلفين وأصحاب العمائم القديمة، وأما الفلاحين والأميين والفقراء فهم يحتقرهم ويزدرهم ويترفع عنهم معتبرا نفسه فوقهم، ويطلب بإلحاح من النخبة أن تكون سباقة للتجنس.¹

ومن ناحية أخرى يطلب من النخبة والتي يسميها الفئة الممتازة أن تكون القدوة والسبابة للتجنس وأن تبتعد عن تأثير العمائم القديمة التي تعيش تحت تأثير الخرافات وهي لا تستطيع أن تتخلى عن خرافاتها، فهي العائق الخطير الذي يمنعهم من التطور وفهم الحضارة الأوروبية والاندماج فيها.²

إن هذا الطرح المتسم في الكثير من نواحيه بالتكبر والاستعلاء على بني جنسه سيما المحافظين منهم، جعله عرضة لهجوم شرس وعنيف من أطراف متعددة، فهذا محمد الشريف ساحلي الذي قال عن-الشريف بن حبيلس- وأمثاله المتجنسين «رجال بدون إيمان قدموا خدمتهم إلى المحتل، عملاء مأمورون يتاجرون يهدفون من وراء ذلك خدمة مصالحهم الطبقية، هذه الطبقة البورجوازية الجديدة تطالب بالمساواة في الحقوق والاندماج يريدون أن يكونوا فرنسيين للوصول إلى مكان بجانب معلمهم».³

ولعل من انعكاسات هذه الرؤية نحو تجنس الجزائريين ما أورده بن حبيلس نفسه حول معاناة أحد المدرسين من منطقة القبائل الكبرى تجنس بالجنسية الفرنسية وتزوج بفرنسية فيقول له هذا المدرس "لم أزر أبدا قريتي منذ تجنست، إنها وضعتني في الجهة السيئة، والذي توفي ولم أستطع رؤيته"، المجتمع القبائلي رفض المتجنسين واعتبرهم خونة، لذلك لم يستطع هذا المدرس

¹ - عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985م، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2004-2005، ص78.

² - عز الدين معزة، المرجع السابق، ص78.

³ - عز الدين معزة، المرجع نفسه، ص80.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

الحضور في تشييع جنازة والده، ويعد ذلك بالنسبة إلى المجتمع الجزائري المسلم أكبر إهانة للفرد ويصبح عارا عليه يلاحقه مدى حياته، حيث يصنف من المغضوب عليه في مجتمعه.¹

2- على المستوى الاقتصادي والاجتماعي:

حظيت القضايا الاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بالجزائر باهتمام بن حبيلس والنبذة المفرنسة إجمالاً، إذ تطرق بكثير من الشرق والتحليل لحال الفلاح الجزائري وموضوع التعمير وعرف بالمشاكل والعوائق المفتعلة التي تمنع وتؤخر تحقق مشروع الاندماج ومنها على الخصوص ظاهرة الرشوة والفساد الإداري والربا... الخ.

ومن أبرز المواضيع الاقتصادية التي تناولها:

2-1- التعمير:

شكل موضوع التعمير جانبا مهما من مظاهر التماهي مع فرنسا، والتي دلت في نفس الوقت على مجهودات عظيمة وبريئة لخدمة هذه البلاد، ويمكن إيجاز هذا المنحى فيما يلي:

2-2- العامل الجزائري والمعمار الفرنسي:

يتساءل بن حبيلس بأسلوب تمجيدي واضح المعالم بقوله: «من دفع هؤلاء إلى العمل وغير ذهنيته في العمل؟ إنه هذا المعمار الآتي من وراء البحار لا يحمل معه إلا بنيته القوية في أغلب الأحيان، هذا المغامر الذي جاء وتمركز وسط أناس لا يعرف لغتهم ولا ذهنيته ولا عاداتهم، والذي واجه ألف عسر وعسر وحارم نفسه من كثير من الأشياء كي يشكل له خلية حيوية وبيتا على هذه الأرض التي انتهى به الأمر إلى احتضانها كأنها وطن ثان»²، ثم يواصل: «من الذي علمنا طرق الزراعة الجديدة؟ من أحدث الارتفاع الذي نراه في أجور عمال الحقول إن لم يكن المعمار؟ من يجرؤ على نكران فضل هذه الشراكة».³

¹ - عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 80.

² - الشريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص 19.

³ - الشريف بن حبيلس، المصدر نفسه، ص ص 25-26.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

لقد وضع بن حبيلس المعمر المسكين الذي جاء من وراء البحر بل حرم نفسه من أشياء كثيرة لكي يبني لنا بيتا ويزرع لنا حقلا ويرسم لنا مستقبلا زاهرا ويعلمنا طرق الزراعة الحديثة.¹ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن إنجازات المعمرين قائلا: «الريف الذي كان بوارا صارت يزدان بالمحاصيل الخصبة، والجبال تركت جذبها لصالح خضرة جديدة وجميلة... وهذه المساحات لم تكن فيها سوى النباتات البرية القديمة، والتي لا تجد فيها سوى مزيج كئيب العليق والعناب البري تحولت اليوم إلى قرى جميلة يشرفها اسم أحد علماء فرنسا ويزينها شجر البرتقال واليوسفي بثماره المذهبة، والصخور التي لم تكن تعرف شيئا سوى هجمات الأمواج البحرية الغاضبة أصبحت اليوم موانئ واسعة ومراسي غنية تحتضن الجوار الطيب من الخيرات والكنوز التي لا تفرق أهي ملك للسكان الأصلي أم لمعمر».²

ومرة ثانية يسقط ابن حبيلس في تقديم صورة مشوهة للواقع، فهذا جول فيري أحد أهم أقطاب السياسة الاستعمارية الفرنسية يصف سنة 1892م الوضع المأساوي للجزائريين بقوله: «رأينا هاتيك القبائل البائسة التي تسلط عليها الاستعمار فأجلاها، والحجز فأرهبها، ونظام الغابات فأطردھا وقوانينه فأفقرھا، سمعنا شكواهم ورأينا رأي العين بؤسهم ولمسناه لمسا، رأينا وسط الغابات بقعا محروثة وحقولا سلبت من يد الجزائري سلما وضمت إلى أملاك الغابات، ورأينا في تلال القبائل الصغرى نظام الضرائب الفرنسي ينازع العربي المرتدي الأسمال، الأعشاب التي تكسوا الأرض في فصل الربيع حول باقات الدفل، لم يتأثر قلبنا فحسب من رؤية هذه المناظر بل ثارت عقولنا فأدركنا بأن الجزائري تجري (كذا) أمورا ليست أهلا بفرنسا تتنافى مع العدل ومع سياسة كمتبصرة (كذا)».³

2-3- الفلاح الجزائري والمعمر الفرنسي:

¹ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 293.

² - الشريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص ص 26-27.

³ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 294.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيّس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

يرى بن حبيّس «أنه بفضل جوار المعمر الفرنسي قد أصبح الفلاح يلبس لباساً أفضل مما هو تعود عليه من "قدوار" و"قاعة" وما شابه ذلك، والاستهلاك العام للموارد الغذائية التي ينتجها المعمر لا يفتأ يتزايد منبئاً بتغذية أكثر صحية، منذ ثلاثين سنة فقط لم نجد القهوة والسكر والصابون إلا لدى ثلثة من العائلات ميسورة الحال، أما اليوم فإننا لم نجد تحت خيمة الرحالة وفي كوخ الفلاح»¹، فهل الجزائري في ذلك الوقت بحاجة إلى القهوة والسكر في ظل مستواه المعيشي المتدهور؟ وإذا سلمنا بانتشارها داخل المجتمع وشيوعها لدى شريحة كبيرة من السكان فهل هذا يعكس رفاهية في بقية المواد الغذائية الأخرى أم أن الأمر اقتصر على المواد التجارية الإدمانية النقدية التي تخدم الاقتصاد والتوجه الفرنسي بالدرجة الأولى.

ويبدو أن هذه المقدمات حول الفائدة الاقتصادية عند الفلاح ذات بعد آخر ترتبط بالجانب السياسي الذي يقوم على اعتبار الاستعمار قضاء وقدر لا مفر منه، فعبر بن حبيّس عن ذلك بقول: «إن شبكة القرى الأوروبية التي لا تفتأ تزداد عدداً، تزرع في أذهان الأهالي الاقتناع القوي بأن التعمير والتواجد الأوروبي في بلادهم قدر لا مفر منه، وشيء نهائي لا مرجع منه، إنه مشهد يدفعهم إلى الإيمان بقبول تواجدها على أرضهم كقدر محتوم، إنهم بذلك يلقنون بأنه لا مستقبل أمامهم إلا بين أحضان المجتمع الذي يروونه يتشكل حواليتهم، ويجعلهم يتحولون إلى أتباع طيعين متى تمكنا من إرضاء رغباتهم وتطلعاتهم»²، ولعل إيمان ابن حبيّس بالقضاء والقدر وضرورة التسليم له إيمان مطعم بالمكاسب المادية الملموسة من طرف الاستعمار الفرنسي، فهو والحالة هذه قضاء وقدر واستسلام نحو الأفضل حسب رأيه.

ما يمكن أن نستخلصه ونسأل ابن حبيّس نفسه عن هذا الواقع غير الصحيح والمختزل والذي أراد تلطيفه وتجميله رغم السواد والعتمة التي تلفه، فعن أي شعور بالرضا، الإيجاب، الاحترام يتحدث؟ وعن إضافة قدمها المعمر الأوروبي للجزائري ذو الأسمال البالية والأقدام الحافية والبطون الخاوية؟ ألم يذكر لنا بول أودال على سبيل المثال في رحلته الموسومة بصورة الجزائر

1 - الشريف بن حبيّس، المصدر السابق، ص 28.

2 - الشريف بن حبيّس، المصدر نفسه، ص ص 26-27.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

أرضا وشعبا لدى رحالة فرنسي سنة 1899م (من الجزائر إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة)، مظاهر الفقر والتسول والحرمان التي وقف عليها بنفسه «كل فقراء المدينة [يقصد برج بوعريريج] سبقوا انطلاقنا، كأنما تواعدوا، جميعهم كثيرا أو قليلا عجزا، بسيقان ترتطم، وأذرع النقص جلدها بالعظم، وأسمال تنبعث منها رائحة حريق كضماطات الجروح»¹، ألم يذكر لنا حالة البؤس والفقر التي وجدها عليها السكان في المسيلة، وأوضاعهم الاجتماعية البائسة، فلم يذكر لنا أنه تذوق القهوة والشاي والكسكسي والمشوي عند هؤلاء المساكين، إلا عند القاضي محمد بن بوضياف بن هني، المحسوب على الإدارة الاستعمارية.²

وما هو محل وصف الصحفيين لحالة الوضع الزراعي للفلاح الجزائري، فهذه صحفية الثبات التي يديرها محمد عباسة تنشر مقالا بعنوان "الفلاح الجزائري يحتضر" في 24 نوفمبر 1933م جاء فيه انتقاد صاحبه بشدة السياسة الفرنسية التي تشجع المعمرين من الفلاحين بالخبرة والإرشادات والميزانية، وتدفعه إلى النجاح، أما الفلاح الأهلي فإنه لا يزرع أرضه إلا بعد أن يقرضه المرابون مائة في المائة وينتظر المحصول، ليأتي المرابون في النهاية ويستحوذون عليه ويخرج الفلاح من فلاحته خالي الوفاض.

وبخصوص نظام الخماسة فإن الشريف بن حبيلس يعتبر المجتمع الجزائري (الأهلي) يتكون من الأعيان ومن الفلاحين، ويرى أن الفئة الأخيرة هي الأكثر أهمية نظرا لكونها الفئة العاملة التي يقوم على كاهلها نجاح المشروع الاستعماري في الجزائر.³

وطالب بن حبيلس بإصلاح نظام الخماسة، وطلب من الإدارة الفرنسية "حامية الجزائريين" اتخاذ إجراءات صارمة لمنع استغلال الفلاحين وبأن لا يستعمل ملاك الأراضي سوى الأجراء اليوميين، وأن تفكر المصالح الفلاحية في تشكيل تعاونيات إنتاجية استهلاكية من الفلاحين أنفسهم، ويكون هدفها تلبية حاجيات الفلاحين من الضروريات بأسعار معقولة، وبذلك يكون نظام

¹ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص ص 294-295.

² - محمد السعيد قاصري، المرجع نفسه، ص 295.

³ - الطاهر العمري، المرجع السابق، ص 407.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

الخماسة في رأيه أن تغير بفعل تغير علاقات الإنتاج، وكان بن حبيلس سنة 1914م من النخبة التي دعت إلى هجرة الفلاحين إلى أوروبا للقضاء على نظام الخماسة، وكان يدرك أن احتكاك الفلاحين الجزائريين بالأوساط العمالية في الخارج هو أكبر عامل من عوامل الوعي والتحرر من الأحكام المسبقة، وذلك ما يسمح لهم عند العودة إلى الجزائر بالمساهمة في التنمية بواسطة ما حصلوا عليه من تكوين، كما أنهم بواسطة الهجرة يرى بن حبيلس - يمكن أن ينافسوا العمال القادمين من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا، وأن يحافظوا على العملة الفرنسية في فرنسا، كما يمكنهم ذلك من تحسين أوضاعهم المعاشية، ويمكن أن يدخروا قدرا من المال.

كما انتقد الإدارة الاستعمارية التي كانت تحرم الأهالي من الأجور التي يستحقونها بسبب العمل المساوي لعمل المعمرين، يرى أن هذا نوع من الجور الذي ينبغي رفعه على الجزائريين، وأن تكون القاعدة المعمول بها هي "لكل حسب كفاءته في العمل"¹، ولكن هذا التنظير من بن حبيلس لصالح ترقية الفلاحين لا يخفي عنا تحمسه لمشاريع المعمرين، إذ نجده يقول بأن: «التعمير أفضل وسيلة للتقارب بين الطبقتين العاملة والمالكة (...) إن التعمير جلب للبعض الثراء وللأغلبية حالة من الرخاء وللجميع الكثير من الراحة ومزيذا من النظافة».²

3- على المستوى الثقافي والحضاري:

3-1- المدرسة:

باتت المدرسة في نظر بن حبيلس (والنخبة) وسيلة فعالة تسهم في تحقيق الهدف، فقد أبدى تفاؤلا في قوله: «إن الوحدة الضرورية بين الأهالي والأوروبيين ستكون قريبة المنال»³، وأكد على حاجة الإدارة الجزائرية للمتعلمين فكتب: «في البداية تحتاج لمجموع موظفين من الأهالي غير

¹ - الطاهر العمري، المرجع نفسه، ص408.

² - الطاهر العمري، المرجع السابق، ص409.

³ - Chérif Ben Habiles, op.cit, p29.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

مؤهلين بعد لمختلف المناصب [...] ما يفرض عليهم تعليمهم وتكوينهم أولاً، واستطرد "لكن ما هو هذا التعليم المطلوب؟ وكيف ستستقبله جموع الأهالي؟ وأخيراً ما هي نتائجه؟".¹

وباشر بن حبيلس الإجابة عن تلك الأسئلة مبرزاً الجهود الفرنسية في سبيل ترقية التعليم، ومدحه نواياها الحسنة إزاء ذلك، ليخلص في الأخير إلى نتيجة جد ملفتة للنظر، وهي ضرورة "تبيان التطور المنجز خلال 84 سنة منذ أن رفرت الراية الثلاثية الألوان -أي الفرنسية- على الأرض الجزائرية"، ووصف بن حبيلس هذا التطور بأنه حاسم: "ماذا تعني 80 سنة في عمر التطور الفكري لشعب من الشعوب، فالتطور باتجاه مملكة الفكر الفرنسي تتم بواسطة المحاربة المنظمة للجهل، والإكثار من عدد المدارس المخصصة لتعليم الأهالي".²

كما يرى بن حبيلس: «أن الاكتفاء بالأمن والتعمير من أجل تحرير هذا الشعب وتنميته والرقى بمستواه يعد نقصاً في كرم أمة متحضرة كفرنسا، كان لابد من أجل التقريب بين الناس ولم شملهم والتوحيد بين تطلعاتهم وترقية معاملاتهم، كان لابد من غزو العقول غزوا أخلاقياً معنوياً، هذه المهمة شجاعة وعسيرة، وتربية شعب كشعبنا الذي غاص في مجاهيل الجهالة طيلة قرون ليس أمراً يسيراً، ومهما يكن الأمر فالإدارة الفرنسية قد انطلقت في هذه المهمة التي فرضت نفسها في الواقع لسببين: حاجة الدولة إلى أعداد كبيرة من الموظفين الأهالي، ومن الجهة الأخرى فمهمة فرنسا الأولية مهمة حضارية، ولا يوجد تمدن دون تربية وتكوين أي دون تعليم، تعليم الغالب للمغلوب».³

ثم يلح بن حبيلس على ضرورة تعليم الأهالي لا لمحاربة الجهل والأمية بل لتحقيق الهدف الحضاري للحملة الأوروبية.⁴

¹ - Ibid, pp 21-22.

² - Ibid, p26.

³ - الشريف بن حبيلس، المصدر السابق، ص31.

⁴ - الشريف بن حبيلس، المصدر نفسه، ص37.

الفصل الثاني ————— الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

ويخلص في الأخير أن هذه الأمة -الفرنسية- التي علمت الجزائري وحضرته هي أمة جديدة بأن يرتمي في أحضانها بقوة.¹

لا ندري بأي منطق يتحدث بن حبيلس، فإذا كان يتحدث بلغة المعطيات والوقائع التاريخية، فالتاريخ يشهد هذا باعتراف الفرنسيين أنفسهم الذي يدافع عنهم بأن نسبة الأمية في الجزائر عشية الحملة الفرنسية تكاد تكون منعدمة تماما، وأن الجزائر كانت غنية بقراها وحواضرها بمختلف دور الثقافة²، حتى أن الفرنسيين أنفسهم قدموا شهادات حول الهدف الحقيقي من التعليم الفرنسي في الجزائر تتنافى مع ما أورده بن حبيلس فالدوق دومال نجده يصرح بهذا الخصوص: «بناء مدرسة أحسن وأفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن».³

أما بول برنارد Paul Bernard مدير المدرسة العليا للمعلمين ببوزريعة سنة 1908م فيقول بشأن المدرسة الفرنسية: «المهم... أن يأخذ الأهالي عن وطننا فكرة راقية ونقية فلنقدم لأولادنا إذا... معلومات حول عظمة فرنسا وقوتها العسكرية وتراثها، إن أوضاعنا سوف تكون أشد تثبيتا إذا اقتنع الأهالي بأن الفرنسيين أقوياء وكرماء وأنهم أفضل من يمكن أن يسودهم ثم لخص فكرته بقوله: أثبتت مدرسة الأهالي فعاليتها الرائعة لأنها على وجه الخصوص أداة من أدوات السلطة ووسيلة من وسائل التأثير».⁴

وحسب عبد القادر حلوش فإن السياسة التعليمية الفرنسية التي قامت على ركيزة المدرسة أساسا أفلحت في خلق وتكوين ما اصطلح على تسميته "جماعة النخبة"، هذه الأخيرة التي عزلتها الإدارة الفرنسية نهائيا عن محيطها العربي وربطتها بالفكر والثقافة الفرنسية.⁵

1 - نفسه، ص 75.

2 - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 06.

3 - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 48.

4 - غي بريفيلي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880-1962م، ترجمة، حاج مسعود، أ. أكلي، ع. بلعربي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص ص 388-389.

5 - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 49.

3-2- نظرتة للمستعمر:

إن تعلق المؤلف بالمستعمر يبدو -عن غير قصد- مبالغاً فيه، فهو لا يفتأ مآثر فرنسا ويعدد أفضالها على "الأهالي"، ويستعرض منجزاتها بالجزائر، مستغلاً في ذلك كل مناسبة وأي ظرف، بل كان موضوع للثناء عليها، والتتويه بميزاتهما مقابل إبداء مقتته الذات "الأهلية" وعتابه عليه في المعادلة الحالمة: "عشق الآخر وكره الذات".¹

وما يفهم من كلامه أنه بالغ في عواطفه تجاه فرنسا بدليل قوله: «في الحقول وفي كل الأوقات أثناء الأمطار الجليدية لشهر جانفي، كما في موجات الحرارة المحرقة في شهر جويلية لا يوجد سوى معمر وأهلي [...] لا يوجد في أي مكان آخر صداقة وحميمية أكثر تعبيراً من الرجلين اللذين يتقاسمان كل شيء، وقد جمعتهما القدر جنباً إلى جنب». ²

ومن جهة أخرى تساءل الكاتب متسلحاً بفلسفة الواقع قائلاً: «ما مصير المعمر بدون وجود الأهلي؟، بل ما مصير الأهلي بلا معمر؟ من دفع هؤلاء الأهالي البسطاء الخاملين إلى النشاط والعمل إن لم يكن المعمر الأوروبي؟». ³

4- على المستوى الاجتماعي:

4-1- المرأة:

يدعو ابن حبيلس إلى تحرير المرأة المسلمة، فهو يرى أنه تكون في الجزائر نوعاً من النخبة الأهلية التي يسكنها حب الحضارة الفرنسية، هذه الأهلية المتفتحة على منجزات الحضارة الغربية وقيمها في العلم والعمل تصل إلى حد عبادة [كذا] المجتمع الفرنسي، وخصوصاً في الجانب المتعلق بحرية المرأة (...). وإذا كانت هذه النخبة لا تزال مرتبطة بالعقيدة الدينية فإن تأثرها بالخطب الدينية لا أثر له، كما أنها هجرت ممارسة الشعائر الدينية. إن هذه النخبة -يقول بن حبيلس- هي التي تقبل يومياً القوانين الفرنسية وترفض قوانين أسلافها وهي بذلك -في نظر

¹ - نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 85.

² - Chérif Ben Habiles, op.cit, p13.

³ - Chérif Ben Habiles, op.cit, p15.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

عامة الشعب-لا تختلف عن المتجنسين، إن لهذه النخبة -يقول صاحب النص- هموما أخرى غير الاهتمامات الدينية التي كانت تعتبرها مجرد أشباح لا وجود لها.

ويؤكد بن حبيلس على ضرورة تحرير المرأة الجزائرية التي تعاني من وضع ثقيل ومحزن جعل منها-أمة-تقوم بجميع الأعمال الشاقة من جلب الماء، إضافة إلى نظام الخماسة التي تعتبر ضحية له أكثر من الرجل.¹

5- موقفه من الثورة الجزائرية 1954م:

يبدو أن بن حبيلس لم يكن مع الثورة الجزائرية، إذ اعتبر العمليات القائمة ضد فرنسا نوعا من العنف الذي يمزق الجزائر، والمرتكب -حسب رأيه- من طرف جبهة التحرير الوطني، ولا شك أن هذا الموقف المترشح من الثورة يعود في الأساس إلى منصبه كسيناتور في مجلس الشيوخ الفرنسي (1951-1959م) الذي يخوله امتيازات متعددة، وإيمانه أن الحل يكون ضمن الإطار الفرنسي، ليتطور الموقف مرة أخرى بمعارضته الشديدة لعمليات الثوار الجزائريين في نوفمبر 1957م مع خمسة من السيناتورات الجزائريين.

ليشهد فكره منعرجا آخر من خلال عرضه لموضوعات العلاقات الفرنسية الجزائرية مقترحا الحل الفيدرالي Solution Fédéraliste بعد شهر من إعادة انتخابه كسيناتور عن قائمة الاتحاد من أجل السلم والتخطيط بقسنطينة بتاريخ 31 ماي 1959م، هذا التنظيم الفيدرالي -حسب رأيه- مؤسسة بحرية تحت امرة حكم والذي لا يمكن إلا أن يكون الجنرال ديغول.

ولاشك أن توالي انتصارات الثورة السياسية منها والعسكرية ألزم الشريف بن حبيلس وفرض عليه التفكير بحلول واقعية -حسب رأيه دائما- كالحل الفيدرالي والذي يبقى دائما في الإطار الفرنسي.²

6- اغتياله:

¹ - الطاهر العمري، المرجع السابق، ص 398-399.

² - <http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif>, op.cit.

اطلعنا عليه يوم: 18 أبريل 2018، على الساعة: 11.30.

الفصل الثاني — الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

تباينت الروايات التاريخية في حادثة اغتيال الشريف بن حبيلس، حيث يرى البعض أن بن حبيلس اغتيل من طرف جبهة التحرير الوطني بسبب تأييده فكرة القوة الثالثة التي طرحها الجنرال ديغول، بينما يرى البعض الآخر أن الفرنسيين هم من قاموا باغتياله بسبب الاتصالات التي كان يجريها مع فرحات عباس بعد التحاقه بالثورة، حيث بات يشكل خطرا على الفرنسيين وعلى الجزائريين المتجنسين.¹

ومن بين هذه الروايات:

¹ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص304.

-رواية محمد حربي:

يذكر محمد حربي بهذا الشأن ما يلي: «وشجع سرى -أي فرحات عباس- مع أحمد فرنسيس وبدون علم الحكومة المؤقتة ودون حساب الأخطار، السيناتور الشريف بن حبيلس على قيادتها، ولما علمت بالاتصالات بين هؤلاء الرجال الثلاث أمرت هيئة الحكم الثلاثية فيدرالية فرنسا باغتيال بن حبيلس في أوت 1959م بفيشي».¹

-رواية رابح بلعيد:

يروى رابح بلعيد أن الشريف بن حبيلس كان على علم تام بسياسة الجنرال ديغول المتمثلة في البحث عن القوة الثالثة للقضاء على الثورة، ومما يستشهد به بلعيد حول بن حبيلس ما أورده إدوارد رويرمون Edward Roermond أن بن حبيلس كان على ثقة جديدة (كذا) بما يسمى سياسة القوة الثالثة، لدرجة اقتناعه بأن في وسعها أن تؤدي إلى جذب قسم كبير من قادة جبهة التحرير الوطني إلى سياسة ديغول، ثم سرعان ما يعيب بلعيد على إدوارد رويرمون بالقول: «لو تحرى الدقة أن يكتشف أن فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة هو الذي شجع بن حبيلس على القيام بذلك الدور السياسي الخطير؟ ثم يواصل القول مستشهدا بشهادة محمد حربي السابقة الذكر»، غير أنه يذكر أن إصدار الأمر لفيدرالية جبهة التحرير بفرنسا بمهمة التصفية الجسدية لابن حبيلس كان من طرف الثلاثي الحاكم (بوصوف، بن طوبال وكريم بلقاسم) وليس من طرف محمد حربي كما جاء في روايته.

¹ - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962م، ترجمة، عبد العزيز بوباكير، وقصايفية علي، دار القصة، الجزائر، 2004، ص280.

الفصل الثاني _____ الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

ولم يكتف بلعيد بهذا الطرح بل ذهب في روايته إلى إقحام أحمد فرانسيس¹ في هذه القضية والأمين دباغين² الذي كان على علم بما يقوم به عباس وفرانسيس، لكنه لم يستطع أن يحرك ساكنا، معنى ذلك حسب رابح بلعيد تم توريط بن حبيلس في هذه الأزمة وبدل من معاقبة المدبرين تم معاقبة المنفذين طالما أن الأمر والنهي بيد هؤلاء المسؤولين، ويذكر بشأن فرحات عباس «وبينما يعتبر معظم الجزائريين الدور الشنيع الذي قام به فرحات عباس في محاولته لمساعدة ديغول تحقيق غايته الكبرى بمثابة خيانة عظيمة، فإن فرحات عباس يعتقد من جهته أنه لم يرتكب أي خطأ باعتناقه فكرة القوة الثالثة بل يعتقد فوق ذلك أن ما قام به رفقة أحمد فرانسيس هو من صلب الوطنية»³.

-رواية أحمد مريوش:

يرى أن الشريف بن حبيلس اغتيل في مدينة فيشي الفرنسية في نهاية الخمسينات من طرف رجال جبهة التحرير الوطني، ولقد استمد هذه الرواية من عمار نارون في مؤلفه باللغة الفرنسية الموسوم بـ: "Histoire Parallèle La France En Algérie 1830-1962"⁴.

¹ - ولد سنة 1912 بغليزان (القطاع الوهراني) دكتور في الطب بكلية باريس وعضو اللجنة المركزية لأحباب البيان والحريّة، كان من مؤسسي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، عين عضوا في المجلس الوطني للثورة من طرف مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، وزير للشؤون الاقتصادية والمالية في سبتمبر 1958م، غادر الحكومة المؤقتة في أوت 1961م، ينظر شارل أندري: فالفرود، الثورة الجزائرية، تر، كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، الجزائر، منشورات دحلب، 2010، ص214.

² - مناضل في صفوف حزب الشعب، ثم حركة الانتصار، وأصبح أمينها العام، انسحب من الحركة سنة 1949م بسبب الخلاف الذي نشب بينه وبين مصالي الحاج، انضم إلى جبهة التحرير ومثلها في القاهرة، عين وزيرا للحكومة المؤقتة الجزائرية، تفرغ بعدها لممارسة مهنته كطبيب بالعلمة، توفي سنة 2003، أنظر: مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير 1926-1954م، دار الطليعة، قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 201.

³ - محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص305.

⁴ - محمد السعيد قاصري، المرجع نفسه، ص305.

الغائمة

خاتمة:

- من خلال دراستنا لموضوع النخبة الجزائرية الفرانكوفونية "الشريف بن حبيلس أنموذجا" توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:
- مساهمة المدرسة الفرنسية كآلية فعالة في تخريج أجيال من النخبة الجزائرية المثقفة ثقافة فرنسية للدفاع عن المصالح والسياسة الاستعمارية والدعوة للإدماج والمحافظة على الجزائر الفرنسية.
 - تشكيل أغلب أبناء المتعاونين مع الإدارة الفرنسية من قياد، باشاغاوات، شيوخ، دوار وقبائل طلائع للنخبة الجزائرية الفرانكوفونية.
 - الفكر الاندماجي نشأ في حضان المدرسة الفرنسية، فرواده يعتبرون من خريجي الدارس والجامعات الفرنسية الذين تأثروا بالشعارات والقوانين الأوروبية، واتخذوها وسيلة لتحقيق مطالبهم.
 - إن النخبة الجزائرية الفرانكوفونية رغم موقفها من الإدارة الاستعمارية واحتجاجاتها التي وصفت في بعض الأحيان من طرف المعمرين بالمطرقة، إلا أنهم لم يتصلوا عن الدائرة الفرنسية.
 - يمكن اعتبار كتاب بن حبيلس "الجزائر الفرنسية من وجهة نظر أحد الأهالي" مزيجا من الأفكار المختلفة وحتى المتناقضة، فهو يعترف بجميل المدرسة الفرنسية ويحب فرنسا، كما تبرز نظره الاستعلائية على الجزائريين، في حين يدافع عن الأهالي وفضح الممارسات الاستعمارية في حقهم، مع عدم تخليه عن الأحوال الشخصية ولا عن الجزائر كأرض وشعب، بل ظل يؤمن بها من مستواه الفكري النخبوي الذي يدافع من منطلقه.
 - التأكيد على دور الشريف بن حبيلس في الحركة الوطنية الجزائرية من منظور النخبة التي كان ينتمي إليها والبيئة التي نشأ فيها، والتي يؤكد فيها ضرورة الاندماج كسبيل لارتقاء وتطور المجتمع الجزائري.

- التأكيد على التغير الحاصل في فكر بن حبيلس من التطرف إلى الاعتدال نتيجة عوامل متعددة أبرزها: الاقتناع بعدم جدوى الأفكار التي كانت تنادي بها جماعة النخبة الفرانكوفونية، في ظل بروز التيار الاستقلالي والإصلاحي ذو الطروحات الواقعية في ثلاثينات القرن العشرين.
- بروز حلقة غامضة ومهمة عن أدوار ونشاطات بن حبيلس في الفترة التي قضاها في مجلس الشيوخ (1951-1959م) وموقف من تطورات الثورة والاستراتيجية الفرنسية.
- سطحية الطروحات المتداولة في قضية اغتيال بن حبيلس والتي تدعو إلى مزيدا من النباش عن حيثياتها في دور المخطوطات والأرشيف العائلي.
- لا يزال فكر بن حبيلس بمختلف عناصره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والروائية يحتاج إلى المزيد من البحث الموضوعي للوقوف على مختلف النشاطات والأدوار والمواقف التي قام بها خلال مسار حياته خاصة فيما تعلق بمرافعاته في المجلس التشريعي ومجلس الشيوخ الفرنسي (1951-1959م)، ناهيك عن مؤلفاته غير المترجمة والتي في إمكانها عكس جانب مهم من فكره.
- تصنف شخصية الشريف بن حبيلس ضمن الجيل الأول من النخبة الجزائرية المفرنسة التي اكتسبت الثقافة الأوروبية واقتحمت المجال السياسي منذ بدايات القرن العشرين، ونشطت المشهد العام بالجزائر في إطار الإيديولوجية التي حاولت الاستفادة من مكاسب الوجود الفرنسي بالجزائر.
- لا يمكن الجزم بكون مؤلفه " الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي " لسان حال النخبة الفرانكوفونية حينها، لكون صاحبه لا يعدوا الممثل الحقيقي لهم، والمعبر عن انشغالاتهم، وبالرغم من ذلك فإننا نتفهم روح التطرف التي طبعت أفكار بن حبيلس في كثير من الأحيان، ونفسر اختلافه عن الآخرين ضمن الإطار العام لجماعة النخبة التي لم تتمتع بوحدة فكرية ولا إيديولوجية في العديد من الأوقات.

- غنى كتاب بن حبيّس في المحتوى المعلوماتي وفي البعد الإيديولوجي وتميزه بوضوح وسلسلة الأفكار، وهو بمثابة المرآة العاكسة لفترة مهمة من تاريخ الجزائر، وتمثلت قيمته التاريخية في انفراده بمعالجة قضايا كانت في حينها غير مكتملة المعالم لا سيما وأن الكاتب لم يستثن تجاربه الشخصية، ولم يخجل من طرحها واستحضار تفاصيلها.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة للشريف بن حبيّس¹



¹ – <http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif>, op.cit.

اطلعنا عليه يوم: 18 أبريل 2018، على الساعة: 11.30.

الملحق رقم (02): وفد الشبان الجزائريين إلى باريس¹



¹ - رابح لونيبي، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989، دار المعرفة، ج1، الجزائر، 2010، ص26.

الملحق رقم (03): عريضة توضح لنا مطالب النخبة المفرنسة في سنة 1912م

إن قرار 3 فيفري 1912 الخاص بتطبيق قانون التجنيد العسكري الاجباري على الافغان الجزائريين، قد أثار سخط عظيمة في كل أنحاء البلاد، أنها مشاعر تهدد بالاستمرار إذا لم يوضح جد في كل أنحاء البلاد كان السبب في اثارها. وأمام هذه الحالة فإن الاعيان الممضين أسفله، المعبرين عن رأي الاغلبية من مواطنهم يعتقدون أنه من المفيد أن يقوموا بتوضيح الوضع الى الحكومة الفرنسية فب باريس وذلك باطلاعها على رغبات المسلمين (الجزائريين) الذين يشعرون بان هذا العمل الجديد (قانون التجنيد) الذي أضيف الى اعمال أخرى سابقة ثقيلة، يجب أن يصحبه /بالمقابل تحسين لأحوالهم. وإن أعضاء الوفد، بوحي من عدد ضخم من العرائض التي كتبت في جميع أنحاء الجزائر، وياقتناع منهم بان جميع أبناء فرنسا يجب أن يستجيبوا، دائما لندائنا، يعلنون أن اهالي الجزائر مستعدون للقيام بكل وجباتهم، كأبناء مخلصين نحو أم الوطن. ولكنهم من جهة يعتبرون الامور التالية ضرورة:

أ- أن الخدمة العسكرية يجب ان تخفض الى سنتين (بدلا من ثلاث) على قدم المساواة مع الفرنسيين الآخرين.
ب- أن يكون سن التجنيد واحد وعشرين، بدلا من ثمانية عشر لان المجندين فب هذا العمر (18) لم يتكونا جسميا بصفة عاملة.
ج- أن مقابل الخدمة يجب وقفه، لان العائلات (الجزائرية) ستكون فخورة أن ترى أبناءها يعملون في صفوف الجيش الفرنسي بدون تعويض مالي.

وهم من جهة أخرى، يطالبون بالحصول على تعويض فعال يتمثل في التالي:

1. تغيير الاجراءات الاضطهادية
2. تمثيل نيابي جاد وكاف في الجالس الجزائرية والباريسية
3. تطبيق عادل للضرائب
4. توزيع متساوي لموارد الميزانية بين عناصر المختلفة من سكان الجزائر.

1) الإجراءات الاضطهادية:

إن الاهالي (الجزائريين) يخضعون بخصوص الجرائم والهجمات والاعتداءات لقوانين استثنائية يجدوا من الواضح انها لا تراعي القانون العام وهكذا فإن المسمى (بقانون) الاهالي قد خلق بالنسبة إليهم مخالفات خاصة لا تحكم فيها التشريعات العادية ولكن يحكم فيها رجال من النظام الاداري المحلي، وهي حالة تشكل خرقا لمبدأ الفصل بين القوى. ومن جهة أخرى فإن الاهالي يشكون من المحاكم المسماة بالرادعة ومحاكم الجنايات التي لا تضمن طريقتها التحقيقات العادية. ودعنا نلاحظ ان هذه القوانين والمحاكم الاستثنائية ليس لها أصل في عهد الاحتلال. لقد خلقت فقط منذ سنة 1881 (قانون الاهالي) وسنة 1903 (المحاكم الرادعة والمحاكم الجنائية)

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك عقوبة خاصة (لا تطبق (الا على الاهالي وهي الاجتياز السري (ليتر دي كاشي) الذي لم ينص عليه أي قانون (شرعي) والذي لا يتبع تطبيقه أي طريقة قضائية. وفي الحقيقة فإن امر من الحاكم العام كاف لاعتقال أي انسان، ولو كان من اكابر الاعيان، وإبعاده عن عائلته دون السماح له بشرح وضعه والدفاع عن نفسه. ثم يؤخذ لمدة غير محدد الى معتقل خاص الذو الى جهة بعيدة من مسكنه وعمله وتسلط عليه الإقامة الجبرية (لذلك) فإن الاهالي الجزائريين يطالبون بتغيير كامل لهذه الحالة.

(2) التمثيل النيابي للأهالي:

ان الجزائر مجالس من المفروض أن الاهالي ممثلون فيها وهكذا فإن القانون يسمح لهم من الحصول على ربع المقاعد في المجالس البلدية (البلديات الصلاحيات الكاملة)، ولكن دون ان يتجاوز عدد ممثليهم ستة. أما في المجالس العامة (العمالية) فإن عدد ممثلي الاهالي قد حدد بستة دون استثناء. وأما بخصوص المجلس المالي (العام) الذي يبلغ اعضاءه 69 عضو فإن ممثلي الاهالي فيه يشغلون 21 مقعدا فقط: منهم 15 ينتخبون انتخابا عن العمال الثلاث (الشمالية) و6 عن منطقة (الجنوب) العسكرية يعينهم الحاكم تعيينا وام فيما يتعلق بالمجلس الاعلى (للحكومة) الذي يضم 59 عضوا منتخبين أو معينين فإنه لا يوجد فيه اكثر من 07 أعضاء أهليين ،من بينهم 4 ينتخبهم المجلس المالي و 3 يعينهم الحاكم العام عن المنطقة العسكرية.

ومن الواضح ان الاهالي لا يتمتعون بتمثيل فعال ومفيد في المجالس المحلية فالعدد القليل لم يسمح لممثلي الاهالي المنتخبين أن يشكلوا في كل مجلس سوى أقلية صغيرة لا تستطيع ان تمارس أي يشكلوا في كل مجلس سوى أقلية صغيرة لا تستطيع أن تمارس أي تأثير عن التصويت. وبالإضافة الى ذلك، فإنه نظرا الى أن هؤلاء النواب الجزائريين لا يسمح لهم القانون بالانتخاب لا رؤساء البلديات ولا مساعديهم، فإنهم لا يستطيعون أن يقوموا بأن عمل في توجيه ادارة البلدية.

أما بخصوص ادارة الانتخاب فإن ممثلي الاهالي قد جاؤوا من قسم انتخابي مفيد جدا لا يأتي ضمان في أن يكونوا مستقلين والحق أن القانون الانتخابي بالأهالي قد تضمن الشروط التالية:

أ- بخصوص المجالس البلدية: الموظفون، والمتقاعدون والملاكون لا ملاك فلاحية ومالية، والحاملون لوسام الشرف (لبيجيون دونور) أو لأي ميدالية تذكارية لهم فقط الذين لهم صلاحيات الترشح أما التجاوز والصناع وأصحاب المهن الحرة، مثل الاطباء والمحامين ورجال الاعمال، فإنهم جميعا مستثنون من حق الترشح للانتخاب.

ب- وأما بخصوص المجالس العامة فإن القانون الانتخابي قد حصر المنتخبين في أفراد الاهالي المستشارين والمساعدين في المجالس البلدية. ولكن نظرا الى أن كل هؤلاء المساعدين موظفون مسؤولين مباشرة لعامل العمالة، ونظرا الى أنهم يشكلون الاغلبية في كل الدوائر الجزائرية الانتخابية، فإنه لا يمكن لمرشح غير مؤيد من الادارة أن يفوز. وهذا أيضا يفسر لماذا تجد تسعة عشر من ممثلي الاهالي في

- المجالس العامة وفي المجلس المالي موظفين، نتيجة لتوقعهم الكامل على الإدارة والحق أن ممثلي الاهالي في المجالس العامة مازالوا كما كانوا في الماضي، يعينون من الإدارة.
- هذا هو (واقع) التمثيل النيابي بالنسبة للأهالي لذلك فإن السكان المسلمين (الجزائريين) يطالبون بما يلي:
1. توسيع قانون الانتخاب الخاص بالأهالي لكي يضمن فعالية وصالحية التصويت.
 2. زيادة عدد ممثلي الاهالي في المجالس الجزائرية بنسبة خمسي عضويتهم.
 3. يجب توحيد قانون اجراء الانتخابات لكل المجالس الجزائرية في حالة ضرورة اجراء انتخاب من الدرجة الثانية لانتخاب المستشارين العاملين وأعضاء المجلس المالي، يجب إعطاء حق التصويت الى المستشارين المنتخبين في المجالس البلدية واستثناء المساعدين الاهليين.
 4. يجب أن يكون للمستشارين الاهليين في البلديات حق انتخاب رؤساء المجالس البلدية ومساعدتهم.
 5. يجب ان تكون النيابة غير متناسبة مع وظيفة القيادة والمساعدين الاهليين.
 6. يجب تمثيل الاهالي في المجلس الوطني الفرنسي، أو في مجلس (خاص) يخلف في باريس حيث يمثل الاهالي نواب ينتخبونهم بأنفسهم.
 7. يجب أن يكون لأولئك الاهالي الذين يقبلون الخدمة العسكرية اجباريا، او بطريقة التجنيد، أو التطوع الحق في اختيار الجنسية الفرنسية، بناء على طلب بسيط، دون اللجوء الى الطرق الحاضرة (المعقدة)
- 3- إصلاح الضرائب:** إن الجزائريين يطالبون بتعديل النظام المالي تعديلا مبنيا على مبدأ المساواة في تعويض الاثمان.
- 4- توزيع الموارد المالية:** إن المجموعة الفرنسية (الكولون) التي تتمتع وحدها في الوقت الحاضر بتمثيل نيابي جاد وفعال في المجالس المحلية في الجزائر وفي المجلس الوطني الفرنسي في فرنسا، وهي الوحيدة التي تستطيع أن تتصرف في الميزانية.
- وهكذا فإن معظم الموارد المالية تصرف بطريقة تكاد تكون تامة على مصالح العناصر الأوروبية (الكولون) إن أعظم حاجات الاهالي الى حاكم يظفر بأية ترصية تقريبا، بل أن نفقات كبيرة قد خصصت لكثير من البلديات، بينما بقيت أعمال في الدرجة الاولى من الاهمية بالنسبة للأهالي المسلمين تعاني (الاهمال).
- إن هذه الحالة بصفة خاصة غير عادية، وذلك لان الميزانية العامة، بالإضافة إلى الميزانية البلدية والعمالية، تمول في أغلب الاحيان من ضرائب يدفعها الاهالي. وإن إحداث نظام تمثيلي جاد للأهالي هو الذي يسمح بخلق توازن في التعويضات في الموارد المالية.
- هذه هي الرغبات التي صاغها أعضاء الوفد الاهلي المضيين أسفله، الذين تملأهم الثقة في روح عدل وكرم حكومة جمهورية. وإن تحقيق هذه الرغبات عظمة وخير كل من فرنسا والجزائر¹. باريس - جوان 1992.

¹ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط...، المرجع السابق، ص ص 24-30.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

أ- باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، ط1، ج1، بيروت، د.ت.
- الرازي، مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، بيروت، ج1، 1995.
- الفضيل الورثيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- بن حبيلس الشريف، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ط1، ترجمة، عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2009.
- حربي محمد، حياة تحد وصمود، مذكرات سياسية 1945-1962م، ترجمة، عبد العزيز بوباكير، وقصايفية علي، دار القصة، الجزائر، 2004.
- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب، محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- عباس فرحات، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، ترجمة، أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011.
- قداش محفوظ، الجيلالي صاري، الجزائر صمود ومقاومات 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج1، ترجمة، محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر.
- قنانش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر ما بين الحربين 1919-1939م، مركز الطباعة، الجزائر، 1982.

ب-باللغة الأجنبية:

- Ben Habiles Chérif, L'Algérie Française vue par un indigène préface de M. Georges Marçais Orientale Fantana, Alger, 1914.
- Ferhat Abbas, Le jeune Algérien, ENAG, Rouïba, 2009.
- Kaddach Mahfoud, Histoire Du Nationalisme Algérienne 1919-1951, Tom2, SNED, Algie, 1980.

ثانيا: المراجع

أ-باللغة العربية:

- أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير 1926-1954م، دار الطليعة، قسنطينة، الجزائر، 2003.
- الهاشمي إياد علي تاريخ أوروبا الحديث، ط1، دار الفكر، عمان، 2010.
- بريفيلي غي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880-1962م، ترجمة، حاج مسعود، أ. آكلي، ع. بلعربي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989م، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
- بلغيث محمد الأمين، تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق جديدة وصور نادرة تنشر لأول مرة، دار ابن كثير، بيروت، 2001.
- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.

- بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945م، دار البعث قسنطينة، 1401هـ.
- بوعزيز يحي، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1918م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- حلوش، عبد القادر سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة، الجزائر، 1999.
- حمادي عبد الله، الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962م، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الرويبة، الجزائر، 1995.
- روبير أجيرون شارل، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج1، دار الرائد، الجزائر، 2007.
- سعد الله أبو القاسم بحوث في تاريخ العرب الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2015، ص206.
- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الوطنية الجزائرية 1900-1945م، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، 2005.
- سعد الله، أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
- سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013.

- عباس محمد، الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر، الدار المعاصرة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
 - عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، المطبعة الرسمية، الجزائر، 2007.
 - فالفرود شارل أندري، الثورة الجزائرية، تر، كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، الجزائر، منشورات دحلب، 2010.
 - لونيسي رابح، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989، دار المعرفة، ج1، الجزائر، 2010.
 - مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925-1940م، ترجمة، محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
 - مقالاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي 1830-1962م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010.
- ب- باللغة الأجنبية:**

- Tegua Mohamed, L'Algérie en Guerre, O.P.U, Alger.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية

- الحاج ناصر، موقف الجزائريين من التجنيد الإجباري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2004.
- العمري الطاهر، النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع 1900-1940م، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2003-2004.

- تاقوبايت مريم علي، تعكروميت ربيعة، نشاط النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين
الشيخ عبد الحليم بن سماية أنموذجا، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، مذكرة
مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي، 2016-
2017.
- خليفي عبد القادر، أحمد توفيق ودوره في الحركة السياسية والثقافية بتونس والجزائر،
أطروحة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-
2007.
- خمري الجمعي، حركة الشبان الجزائريين والتونسيين، دراسة تاريخية وسياسية مقارنة،
ج2، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري،
قسنطينة، 2006.
- صافر فتيحة، حركة الشبان الجزائريين ظهورها وتطورها فيما بين 1900-1930م،
أطروحة دكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم
الإسلامية، جامعة وهران، أحمد بن بلة، 2015-2016.
- لهالي سلوى، حركة النواب المسلمين الجزائريين الإدماجيين 1927-1954م،
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2009-2010.
- معزة عز الدين، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-
1985م، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2004-
2005.
- نعيجي خديجة، إسهامات كتلة النواب المنتخبين المسلمين الجزائريين في تفعيل
النشاط السياسي للجزائر 1927-1938م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في
تخصص تاريخ معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014-2015.

رابعاً: المقالات والدوريات

- دويذة نفيسة، الشريف بن حبيلس آراؤه واهتماماته الفكرية، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 72-73، أبريل-سبتمبر 2016.
- قاصري محمد السعيد، النخبة الجزائرية الفرانكوفونية بين التطرف والاعتدال "الشريف بن حبيلس أنموذجاً 1891-1959"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع13، ج2، مجلة علمية أكاديمية دولية محكمة، نصف سنوية، تصدرها كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ديسمبر 2017.
- مريوش أحمد، موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي في الجزائر خلال فترة الاحتلال، مجلة المؤرخ، العدد 9-10، الجزائر، 2010.

خامساً: المواقع الإلكترونية

<http://www.senat.fr/senateurbenhabules-cherif000.759.html=ve%20R.Y.C.3/A9publique>

اطلعنا عليه يوم: 14 أبريل 2018 على الساعة 13.20

الفهارس

• فهرس الأعلام

• فهرس الأماكن

فهرس الأعلام:

- أ- ابن منظور: 7.
- إميل فيليكس غوتي: 13.
- الطيب مرسلي: 15.
- إيدموند: 15.
- أحمد بوضربة: 24.
- العربي طهارات: 25.
- إسماعيل حامد: 25.
- ألبان: 27.
- أبو القاسم سعد الله: 9، 20، 41.
- الجمعي خمري: 17، 20.
- المولود بن الموهوب: 30.
- الأمير خالد: 35.
- ابن التهامي: 35، 41.
- الشريف بن حبيلس: 36، 37، 40، 42.
- 47، 52، 54.
- الهاشمي: 36.
- ابن باديس: 38.
- أحمد فرانسيس: 53، 54.
- إدوارد رويرمون: 53.
- الأمين دباغين: 54.
- بلعيد: 53.
- بوصوف: 53.
- ب- بادرنة: 15.
- بوقطري: 15.
- بن بريهمات: 15.
- بن تامي: 17، 18.
- بن رحال: 17، 19.
- بوضربة: 17، 42.
- بلقاسم ولد حميدة: 17.
- بن حبيلس: 23، 31، 32، 33، 34.
- 35، 38، 41، 43، 44، 45، 46.
- 47، 48، 49، 51، 54.
- بن توهامي: 24.
- بولخراس بن قانة: 30.
- بوعلام بن حمودة: 35.
- بن يعقوب: 36.
- بن قانة: 36.
- بن ساسي: 36.
- بول أودال: 46.
- بول برنار: 49.

- بن طويال: 53. محمد الشريف سيسبان: 36.
- ج- محمد السعيد قاصري: 37.
- جورج مارسي: 8، 9، 18، 33، 40. محفوظ قداش: 39.
- جول فيري: 14. محمد حربي: 53.
- جول كامبون: 15. -س- سعد الله: 12.
- جاك شوفالي: 39. سيرفييه: 13.
- د- دحال محمد: 36. سعيد فاسي: 25، 26.
- دومال: 49. سعيد محند لشاني: 25.
- ديغول: 52، 54. سماتي: 36.
- و- وليام مارسيل: 15. -ع- علي مراد: 12.
- ح- حاج حسن بشطرزي: 25. علي باي بوعكاز: 30.
- حامد: 41. عبد القادر المجاوي: 30.
- ي- يحي بوعزيز: 11. عمر بوضرية: 35.
- ك- كريم بلقاسم: 53. عبد الحميد ابن باديس: 37.
- م- مارسيل: 18. عبد القادر حلوش: 50.
- مرسلي: 24، 42. عباس: 54.
- عمار نارون: 54. -ف- فرحات عباس: 10، 11، 16، 18، 20، 39، 52، 53، 54.
- فاني كولونا: 18.

فايون: 19.

-ر-

رابع زناتي: 19، 24، 25.

روزي: 27.

رابع بلعيد: 53، 54.

-ش-

شارل روبير أجيرون: 10، 11.

شارل جونار: 11.

-ت-

تامزالي: 17.

سومر : 20.	فهرس الأماكن:
سطيف : 21.	-أ-
-ف-	الجزائر : 7، 8، 12، 14، 15، 19، 25، 26.
فرنسا : 11، 15، 22، 23، 26، 27، 32، 33، 36، 37، 40، 41، 47، 48، 49، 50، 51، 53.	العاصمة : 17، 19، 21، 22، 27، 28، 32، 33، 34، 35، 36، 40، 41، 43، 46، 47، 49، 50.
فيشي : 53، 54.	الفور : 20.
-ق-	المغرب الأقصى : 22.
قسنطينة : 30، 32، 36، 39.	المسيلة : 46.
-ش-	أوروبا : 47.
شمال إفريقيا : 10.	إسبانيا : 47.
شبرول : 30.	إيطاليا : 47.
-ت-	ألمانيا : 47.
تونس : 13.	-ب-
تركيا : 13.	باريس : 15، 24، 35.
تلمسان : 17.	برج بوعريرج : 46.
-ذ-	بوسعادة : 46.
ذراع الميزان : 38.	بوزريعة : 49.
	-م-
	مصر : 13.
	-س-
	سانسير : 20.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة

المحتوى

شكر وعرفان

مقدمة ب

الفصل الأول

النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

المبحث الأول: النشأة والتطور مع مطلع القرن العشرين 07

النخبة 07

المبحث الثاني: الانتماء الاجتماعي للنخبة الجزائرية الفرانكوفونية 16

المبحث الثالث: العوامل المساعدة على نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية مطلع

القرن العشرين 20

1- دور المدرسة الفرنسية 20

2- سياسة شارل جونا 21

3- قانون 1900 (قانون الاستقلالية المالية) 22

4- قانون التجنيد الإجباري 22

المبحث الرابع: النخبة الجزائرية الفرانكوفونية (المطالب والمواقف) 23

المبحث الخامس: ردود الفعل الفرنسية حول نشاط النخبة الجزائرية الفرانكوفونية

..... 27

الفصل الثاني

الشريف بن حبيلس الأفكار والمواقف (1891-1959م)

المبحث الأول: المولد والنشأة 30

تعلمه 30

31.....	الوظائف التي شغلها
32.....	مؤلفاته
35.....	المبحث الثاني: نشاطه السياسي والثقافي
40.....	المبحث الثالث: اهتماماته الفكرية ومواقفه من قضايا عصره
40.....	-قبل 1954 م
40.....	1-على المستوى السياسي والعسكري
40.....	1-1-(الأمن)
41.....	1-2-التجنيد الإجباري
42.....	1-3-التجنس
43.....	2-على المستوى الاقتصادي والاجتماعي
43.....	2-1-التعمير
43.....	2-2-العامل الجزائري والمعمار الفرنسي
45.....	2-3-الفلاح الجزائري والمعمار الفرنسي
48.....	3-على المستوى الثقافي والحضاري
48.....	3-1-المدرسة
50.....	3-2-نظرة للمستعمر
51.....	4-على المستوى الاجتماعي
51.....	4-1-المرأة
51.....	5-موقفه من الثورة الجزائرية 1954 م
52.....	6-اغتياله
53.....	-رواية محمد حربي
53.....	-رواية رابح بلعيد
54.....	-رواية أحمد مريوش
56.....	الخاتمة

60.....	الملاحق
66.....	قائمة المصادر والمراجع
	الفهارس
73.....	فهرس الأعلام
76.....	فهرس الأماكن
78.....	فهرس المحتويات